

"الأنا والآخر ودورها في رسم وتحديد العلاقة بين الوطن العربي والغرب"

د. إياد عماوي

مدير عام في وزارة الشؤون الاجتماعية، رام الله، فلسطين.
ومحاضر غير متفرغ في جامعة القدس المفتوحة، منطقة
طولكرم التعليمية، فلسطين.

قائمة المحتويات

المقدمة ٣

الفصل الاول: الذات العربية ٥

- ٦ أولاً: الذات العربية المتضخمة
٦ ثانياً: إدراك الذات العربية لذاتها
٨ ثالثاً: الهوية الثقافية
٩ رابعاً: القيم الراسخة
١٠ خامساً: صورة الإنسان والمجتمع العربي
١١ سادساً: الصورة المفضلة للعربي أمام العالم الخارجي

الفصل الثاني: نظرة العرب إلى الآخر ١٢

- ١٣ أولاً: الآخر في الثقافة العربية
١٥ ثانياً: مرجعيات النظر العربي الإسلامي إلى الآخر
١٧ ثالثاً: موقف الشباب التونسي من البلدان الغربية

الفصل الثالث: نظرة الآخر إلى العرب ٢٠

- ٢١ أولاً: عناصر الصور النمطية المسيحية عن الإسلام
٢٣ ثانياً: صورة المجتمع العربي الإسلامي عبر التاريخ
٢٦ ثالثاً: صورة العرب والإسلام في وسائل الإعلام الفرنسية
٢٦ I. الرأي العام الفرنسي والقضايا العربية
٢٧ II. صورة العربي في الصحافة المطبوعة والمرئية
٢٩ III. صورة العربي في الكتب المدرسية
٣١ رابعاً: صورة العرب والفلسطينيين في العقل الأمريكي
٣١ I. صورة العرب في عقول الأمريكيين
٣٤ II. فلسطين والفلسطينيين في العقل الأمريكي
٣٥ III. صورة الوطن العربي في الكتب المدرسية الأمريكية

الفصل الرابع: العلاقة بين الوطن العربي والغرب ٣٨

٣٩
٣٩
٤٠
٤١
٤٥

أولاً: الحوار العربي - الأوروبي

I. أسباب الحوار

II. أهداف الحوار

III. جوانب الحوار

ثانياً: الحوار العربي - الأوروبي (خلاصة)

٤٧

الخاتمة

٤٩

قائمة المراجع

المقدمة

إن رؤية الأنا في مرآة الآخر، ورؤية الآخر في مرآة الأنا ليستا خروجاً على الموضوعية أو تحيزاً أو هوى، فالحق مقياس للحكم، وكذلك الاستحسان العقلي. فالحق يعني الرؤية الموضوعية المزدوجة للصورتين المتبادلتين بين الأنا والآخر، والاستحسان العقلي يعني التحسين والتقبيح العقليين المرتبطين بالفطرة الإنسانية واطراد التجارب البشرية.

ونظراً لما للأنا والآخر من أثر في رسم وتحديد العلاقة بين الوطن العربي والغرب، فقد تناولت هذا الموضوع بالبحث والدراسة، فكان سؤال البحث هو: إلى أي مدى تؤثر الصورة المرسومة للغرب في أذهان العرب والمسلمين، وكذلك الصورة المرسومة للعرب والمسلمين في أذهان الغرب، في تحديد طبيعة وشكل العلاقة بين الوطن العربي والغرب؟. للإجابة على هذا السؤال جاءت فصول البحث الأربعة وخاتمته لتجيب عليه.

الفصل الأول بعنوان: الذات العربية، وقد تناولت جوانب، الأول، عن الذات العربية المتضخمة، والثاني، عن إدراك الذات العربية لذاتها، والثالث، عن الهوية الثقافية العربية، والرابع، عن القيم العربية الراسخة، والخامس، عن صورة الإنسان والمجتمع العربي، وأخيراً، عن الصورة المفضلة للعربي أمام العالم الخارجي.

الفصل الثاني وهو بعنوان: نظرة العرب إلى الآخر، وبه ثلاث عناوين، الأول، حول الآخر في الثقافة العربية، والثاني عن مرجعيات النظر العربي الإسلامي إلى الآخر، والثالث عن موقف الشباب التونسي من البلدان الغربية.

أما الفصل الثالث والأطول فهو بعنوان: نظرة الآخر إلى العرب، وبه أربعة عناوين رئيسة، وست عناوين فرعية. فقد تناولت أولاً: لعناصر الصور النمطية المسيحية عن الإسلام، بعدها تحدثت عن صورة المجتمع العربي الإسلامي عبر التاريخ، من ثم انتقلت لصورة العرب والإسلام في وسائل الإعلام الفرنسية: فعرضت لموقف الرأي العام الفرنسي من القضايا العربية، إضافة لصورة العربي في الصحافة المطبوعة والمرئية، وعرجت على صورة العرب في الكتب المدرسية. أما العنوان الرئيسي الرابع فكان: لصورة العرب والفلسطينيين في العقل الأمريكي،

والذي شمل صورة العرب في عقول الأمريكيين، وفلسطين والفلسطينيين في العقل الأمريكي وأخيراً، صورة الوطن العربي في الكتب المدرسية الأمريكية.

الفصل الرابع جاء بعنوان: العلاقة بين الوطن العربي والغرب، وبه عنوانين رئيسيين وعناوين فرعية. تناولت أولاً، الحوار العربي الأوروبي، أسبابه، وأهدافه، وجوانبه الثلاث: السياسي، والاقتصادي الفني، والثقافي. أما العنوان الرئيسي الثاني فكان: الحوار العربي - الأوروبي: (خلاصة).

أخيراً، كانت الخاتمة وبها تلخيص قصير لما جاء به البحث ومحاولة للإجابة على السؤال الذي طرحناه حول "صورة كل من الأنا والآخر وأثرها في تحديد ورسم العلاقة بين الوطن العربي والغرب، تلاها قائمة مراجع البحث.

وقد صدق العماد حينما قال "إنني رأيت انه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه، إلا قال في غده، ولو غير هذا لكان أحسن، ولو ترك هذا لكان أجمل وهذه أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر".

والله من وراء القصد.

الفصل الأول: الذات العربية

أولاً: الذات العربية المتضخمة

إن جسامه الصدمة التي أصابت الوعي العربي ترد إلى عاملين أساسيين، أولهما: تضخم صورة الذات العربية نتيجة للأوهام التي زرعت في أذهان الجماهير العربية عن القوة التي لا تقهر للقوات المسلحة العربية. وثانيهما: المحاولات الدعائية المنظمة التي اسهم فيها عدد من المثقفين العرب الذين يفتقرون إلى النظرة العلمية، والتي حاولت بدأب الإقلاق من خطر العدو الإسرائيلي والاستهانة بقدراته، ورسم صورة مزيفة لحقيقة أوضاعه الاجتماعية والسياسية والعسكرية^(١).

لم يتجه الباحثين العرب إلى مواجهة مريرة مع الذات العربية المتضخمة، لمعرفة مصادر تصوراتها الذاتية واتجاهات صورها المغلوطة، بل كان انشغالهم منصبا على دراسة التصورات الخارجية والصور العامة حولها، في بحث، وإعادة بحث، ما ترسخ في ذهن الآخر نحوها باعتباره، وحده مصدر الإدراكات الخاطئة، ومغذي الصور النمطية السلبية جميعا^(٢).

وبدل المبادرة الجدية بفهم إشكاليات الذات الثقافية العربية نفسها، كثيرا ما كان يتم الهرب إلى تبرئة أجزاء من الذات العربية وتمجيدها وتضخيمها على حساب أجزاء أخرى، حتى تحولت حرب التصورات والصور الثقافية العربية الصامتة إلى حروب عسكرية سياسية اقتصادية معلنة^(٣).

إن تتبع جذور الأزمة العربية الأخيرة وتطوراتها، وتمحيص دوافعها وأبعادها، رسخ قناعة متزايدة لدى بعض علماء السياسة والاجتماع بان ما شهدته بلاد العرب مؤخرا ليس في حقيقة الأمر، إلا حرب إدراك خاطئ مارسته، بلذة عجيبة، الذات العربية الواحدة نحو ذاتها المجزأة^(٤).

ثانياً: إدراك الذات العربية لذاتها

^(١) السيد ياسين، الشخصية العربية: بين صورة الذات ومفهوم الآخر، ١ ط (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٨١)، ص ٢٤.

^(٢) سالم ساري، "الذات العربية المتضخمة: إدراك الذات المركز والآخر الجواني"، في كتاب: صورة الآخر: العربي ناظرا ومنظورا اليه، تحرير الظاهر لبيب،

(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٩)، ص ٣٧٣-٣٧٤.

^(٣) المصدر نفسه، ص ٣٧٤.

^(٤) المصدر نفسه، ص ٣٧٤.

في اللحظات الحاسمة من تاريخ الأمم والشعوب تثور تساؤلات شتى حول هويتها القومية وجذورها الحضارية وتقاليدها الوطنية. عربياً، يمكن القول بأن هزيمة عام ١٩٦٧، وحرب أكتوبر ١٩٧٣ من ناحية أخرى تمثلان تلك اللحظات الحاسمة التي أدت إلى ظهور وبلورة العديد من التساؤلات عن العرب في الماضي والحاضر والمستقبل، عن السلبيات والايجابيات، عن عدم الفاعلية السياسية والعسكرية من خلال الإقليمية والتجزئة، وعن الإنجاز السياسي والعسكري من خلال التنسيق والوحدة وبعبارة مختصرة عن فاعلية الشخصية القومية العربية وقدرتها على التفاعل الخلاق مع الموافق المصيرية التي تتعرض لها الأمة العربية في الوقت الراهن، وعن محصلة هذا التفاعل من سلوك قومي عربي^(٥).

يفسر لنا سوان ويريد كيف تحافظ الذات على نفسها وتثبت بأن معرفتها الذاتية هي المعرفة الحقة، فالناس قادرون على تحقيق ذواتهم من خلال ثلاث طرق^(٦) وهي:

- أ. يمكنهم أن يختاروا مما يقدمه آخرون تغذية عكسية تثبت صحة مفهومهم للذات.
- ب. يمكنهم انتقاء مثل هذه التغذية العكسية من التذكر أو الذاكرة ما يثبت صحة مفهوم الذات لديهم.
- ت. يمكنهم أن يبذلوا جهدهم وبشكل نشاط ليبرهنوا على صدق مفهوم الذات لديهم أمام الآخرين.

نحن نصنع الذات الثقافية صناعة، عبر عملية التنشئة الاجتماعية الثقافية، كعملية تراكمية تفاعلية مستمرة من التأثير والتأثر. ويكون المجتمع، في هذه العملية الدينامية المتطورة، إطارها وبناءها المحدد، وتكون الثقافة مادتها ومحتواها، كما تكون الشخصية أدائها وهدفها في آن معا. ولا تدرك الذات ذاتها بطريقة ذاتية تلقائية مريحة، وإنما يهتم الإدراك عبر الغير دائماً، بالتفاعل الرمزي معه، بسلسلة من الأفعال وردود الأفعال، بالأحكام والتقييمات المستمرة، وبرسائل رمزية متبادلة^(٧).

كثيراً ما تلجأ الذات إلى تضخيم مزاياها، ولو على حساب تبخيس الآخر، فما دام الدفاع عن النفس مبدأ مشروعاً فكل أسلحته مشروعة ومبررة.

^(٥) ياسين، الشخصية العربية، بين صورة الذات ومفهوم الآخر، ص ١١.

^(٦) مهنا يوسف حداد، "أثر الصورة الذاتية في الموقف العربي من دولة إسرائيل"، في كتاب: صورة الآخر: العربي ناظراً ومنظوراً إليه، تحرير الطاهر لبيب، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٩)، ص ٣٣٥.

^(٧) ساري، "الذات العربية المتضخمة: إدراك الذات المركز والآخر الجواني"، ص ٣٧٦-٣٧٧.

إن الإدراكات الخاطئة عند العرب، كذلك التي عهدناها بين المشرق والمغرب العربي بعد حرب ١٩٦٧، ليست مسألة وعي ذاتي بالعجز والفشل والتخلف، وإنما هي ممارسة مألوفة بالارتداد إلى الذات الواحدة المهزومة بتقسيمها إلى ذوات متصارعة كتعبير عن أزمة الواقع العربي الراهن نفسه^(٨).

في الفقرات اللاحقة من هذا الفصل سوف اعتمد على دراسة د. سالم ساري، لأفراد عينة مؤلفة من ٢٠٠ شخص من شرائح اجتماعية مهنية متباينة، تغطي معظم مناطق الأردن السكنية.

ثالثاً : الهوية الثقافية

مع أن الهوية وحدة اجتماعية نفسية متكاملة لا تقبل التجزئة والتوزع والتفتيت، إلا أنه لإغراض تحليلية يمكن رصد أربع هويات رئيسية، بدرجات متفاوتة من التأكيد وهي: هوية قومية عربية، وهوية دينية إسلامية، وهوية وطنية قطرية، وهوية شخصية مهنية^(٩).

لقد عرف المبحوثين أنفسهم بأنهم عرب (٥٣,٥%)، وبأنهم مسلمون (١٨%)، وبهذا تمثل العروبة والإسلام أكبر دوائر الانتماء اتساعاً ورسوخاً بين أفراد العينة. إن التماثل والالتصاق بين الهويتين، إلى درجة التوحد، يؤكد حقيقة أن العروبة ليست متناقضة مع الإسلام، وإنما متغاممة متفاعلة معه في علاقة جدلية مستمرة، ومن المتوقع أن تستمر كذلك حية في الضمير الجمعي باستمرار المجتمع العربي نفسه^(١٠).

العروبة، تاريخياً، كانت دائماً دائرة انتماء حضاري وقومي، مثلت واقعا طوره الإسلام واعترف به وافر بفضل، والامة العربية هي الطليعة التي استجابت لدعوة الإسلام، وتولت حمايته، بالدعوة والفتح، ثم أبدعت حضارته العربية الإسلامية، وحملت الدعوة إليه بين شعوب الأمم الأخرى. والإسلام هو الذي صنع للامة العربية وحدتها القومية الأولى^(١١).

(٨) المصدر نفسه، ص ٣٧٧.

(٩) المصدر نفسه، ص ٣٧٨ - ٣٧٩.

(١٠) المصدر نفسه، ص ٣٧٩.

(١١) المصدر نفسه، ص ٣٧٩.

ولا يعرف العرب الأردنيون والفلسطينيون غير الصراع العربي-الإسرائيلي، بأبعاده ونتائجه التي تملأ تفاصيل حياتهم اليومية، مبلورا لهويتهم، مكونا لشخصياته، ومشكلا لمشكلاتهم الداخلية والخارجية^(١٢).

إذا، فالهويتان الأكثر سيطرة على أفراد العينة هما: العروبة والإسلام، ولا غرابة فالعروبة هي التي احتضنت الإسلام، والإسلام هو الذي صنع للعروبة وحدتها الأولى.

رابعاً: القيم الراسخة

هناك توافق بين تعريف المبحوثين لأنفسهم مع تقريرهم لأنماط المبادئ الراسخة التي يحرصون على التمسك بها، فقد حرص (٣٥,٥%) من أفراد العينة على التمسك بالمبادئ العربية، مقابل (٢٧,٥%) حرصوا على الحفاظ على مبادئ إسلامية، إلا أن (٢١,٥%) فضلوا التمسك بمبادئ شخصية^(١٣).

ومن القيم العربية الإسلامية الراسخة قيم، الوحدة، الحرية، الكرامة القومية، العزة الدينية، والحفاظ على العقيدة، إضافة للشجاعة والكرم والنخوة والشهامة والكرامة، واحترام الغير، وتمثل هذه القيم بداية لاستيعاب تأثيرات الجو الديمقراطي الآخذ في الانتشار والتعمق في المجتمع، كما أنها تمثل انجذاباً لقيم الحداثة والتحديث الغربية، وانفتاحاً أكبر على الثقافات الأخرى. وهكذا يبدو أن أفراد المجتمع أكثر حرصاً على التمسك بمحددات السلوك التقليدية، وأكثر قناعة باتجاهاتهم الأخلاقية، وأكثر ثقة بأهليتهم الثقافية للعيش في عالم متغير^(١٤).

لا تشكل الحضارة الغربية، التي تفرض نفسها كنموذج قيمي للمجتمعات الأخرى هما ثقيلاً لإفراد العينة، فهم لا يدخلون في صراع مع مصادرها وآلياتها ومؤسساتها، وهم لم يصلوا إلى حد الأخذ بالحضارة الغربية أو الانبهار بها، كما أنهم لم يصلوا إلى حد القطيعة معها. ففي حين يعترف عامة أفراد المجتمع بالإنجازات العلمية والتقنية للحضارة الغربية، ولا يبدون حساسية أو مقاومة للأنماط الحياتية المغايرة كأنماط مجاورة، فإنهم أكثر تمسكاً بأنماط حياتهم التقليدية لقناعتهم أن العروبة والإسلام يمثلان البديل الثابت والشامل للحضارة الغربية، ومن هذا الاعتقاد يتحدد نمط

^(١٢) المصدر نفسه، ص ٣٨٠.

^(١٣) المصدر نفسه، ص ٣٨١.

^(١٤) المصدر نفسه، ص ٣٨١.

حياة المجتمع بكل تفاصيله اليومية، وتوجهاته الداخلية والخارجية، ومنه يرتسم النموذج الحالي والمستقبلي للمجتمع الكلي^(١٥).

إذا، فالقيم الراسخة لإفراد العينة هي قيم تستند إلى مبادئ عربية وإسلامية قبل كل شيء، لذلك ظهرت أكثر انفتاحا على الثقافات الأخرى.

خامسا: صورة الإنسان والمجتمع العربي

هناك تطابق بين الصورة التي يقدمها أفراد العينة لأنفسهم مع الصورة التي ترتسم في أذهانهم للإنسان والمجتمع العربي كأنماط مثالية. فالإنسان العربي المثالي هو المحافظ على القيم العربية الأصيلة (٢٨,٥%)، المنتمي عربيا (٢٧,٥%)، الملتزم دينيا (٢٠%)، المحافظ وطنيا (١٧,٥%). فالعربي المثالي: عربي وحدودي، متمسك بعروبته، مدافع عنها، غير مهادن، مقاوم للضغوط من أي نوع، ومضح من أجل عروبته، وكما قال أحد أفراد العينة "العربي الحر، القابض على عروبته كلقابض على الجمر"، وهو صاحب صفات أصيلة: كالشرف، والكرامة، والغيرة، والعزة العربية. فالإنسان العربي هو المؤمن بالأمة العربية، تاريخا وحضارة، الوثائق بالقدرات العربية الهائلة التي تؤهله للعيش في عالم الغد^(١٦).

ورغم الواقع المؤلم للمجتمع العربي اليوم، فإن صورته في أذهان أفراد العينة هي صورة المجتمع العربي المثالي بالموصفات التي ينبغي أن يكون عليها. فهو في المقام الأول، ديمقراطيا وحدوديا (٣٣,٥%)، تسوده قيم الحرية والعدل والمساواة ويحافظ على كرامة أفراد. وهو في المقام الثاني مجتمعا عربيا إسلاميا خيرا (٣٣%)، متجانسا، متعاوننا، متضامنا، موحدا، منتصرا بالله، وخاليا من الانحرافات الدينية والانحلال السلوكية والأخلاقية. والمجتمع العربي حسب العينة، لا بد أن يكون خاليا من الشرور، يتمتع بالرقى الحضاري والاحترام الدولي. محافظا على تاريخه وقيمه الأصيلة^(١٧).

^(١٥) المصدر نفسه، ص ٣٨٢.

^(١٦) المصدر نفسه، ص ٣٨٢-٣٨٣.

^(١٧) المصدر نفسه، ص ٣٨٣.

إذا، فالإنسان العربي المثالي هو المحافظ على القيم العربية الاصيلية، المنتمي عربيا ملتزم دينيا، المحافظ وطنيا. أما المجتمع العربي المثالي فهو ديمقراطي وحدوي تسوده قيم الحرية والعدل والمساواة، ويحافظ على كرامة أفراد، كما أنه عربيا إسلاميا منتصرا بالله.

سادسا: الصورة المفضلة للعربي أمام العالم الخارجي

يرغب أفراد العينة أن يؤخذ الإنسان العربي الجديد، أمام العالم الخارجي، مأخذا جيدا باعتباره صاحب حضور وحضارة، وان تحترم خصوصيته واختلافاته، وان تثمن انجازاته، فاذا لم يتم الاعتراف بأمجاده السابقة، فليس أقل من أن تفهم طموحاته المستقبلية. وهم يفضلون أن يكون العربي أمام العالم الخارجي عريقا حضاريا وواعي بتحديات المستقبل (٣٧,٥%)، قوي سياسيا، ومستقل بالفعل (٢٦%)، قوي بدينه غني بقيمه (١٥%)، وحدوي ديمقراطي (١٣%)، الأصيل ذوي الصفات التقليدية، صاحب هوية وطنية مميزة^(١٨).

كما تتبلور في الأذهان صورة هذا الإنسان العربي الجديد الذي يعيد بناء هويته الحضارية كصاحب علم ونظام واسهام حضاري، إنسان واع بالماضي والحاضر والمستقبل، إنسان مؤثر، مبدع، واثق بأتمته، معتر بانتمائه العربي واستقلاله الفعلي. فالصورة المفضلة إذا صورة تندمج بها العروبة بالإسلام، الإسلام بمكوناته التاريخية وتوجهاته الثقافية والأيدولوجية، وتتعالى عن الواقع الحقيقي المشوه (العربي الخليجي) باعتبارها الصورة الألاح بالتمثيل أمام الآخر^(١٩).

إذا، فالصورة المفضلة للعربي أمام العالم الخارجي، هي أن يكون عريقا حضاريا وواعي بتحديات المستقبل، قوي سياسيا، ووحدي ديمقراطي.

^(١٨) المصدر نفسه، ص ٣٨٥.

^(١٩) المصدر نفسه، ص ٣٨٦.

الفصل الثاني: نظرة العرب إلى الآخر

أولاً: الآخر في الثقافة العربية

إن البحث عن الذات أو تأكيدها عبر بناء صورة الآخر ليس أمراً خاصاً بثقافة دون أخرى. وإن الموقف الفكري من الغرب هو تعبير عن تلازم بين العداوة والإعجاب، على الأقل منذ تساعل الشرقي عن سر تخلفه وتقدم الغرب، نقول الغرب تحديداً، لأن الآخر هو الغرب في الخطاب العربي الإسلامي المعاصر^(١).

هناك تجاهل إسلامي لأوروبا وعدم اهتمام معرفي بها يقابلها حب اطلاع أوروبي، وإن رفض المسلمين القطعي للغرب يعود إلى الفترة التي كان فيها الإسلام يواصل توسعه وما زال مستعداً للتقبل، ولم يكن لدى أوروبا الغربية ما تعطيه له، بالعكس، كانت تغذي غرور المسلمين بمشهد ثقافة واضحة الدونية، وهي ثقافة يكفي على كل حال أن تكون مسيحية لتفقد قبلياً قيمتها. فالغرب الذي تجاهله المسلمون لم يكن إلا صنفاً من أصناف الآخر في حقل أخريه كان عندهم واسعاً ومتعددًا خلال مراحل مدهم الحضاري. بعد ذلك تراجع الإسلام ولكن المسلمين واصلوا إلى حدود الأزمنة الحديثة، اعتبار حضارتهم أرقى حضارات العالم، وقد كان استعمار القرن التاسع عشر هو الذي فرض على المسلمين معرفتهم بأوروبا^(٢).

لقد مرت الحضارة الإسلامية عبر التاريخ في علاقة مستمرة مع الحضارات الأخرى، ويمكن القول إن تلك العلاقة مرت بثلاث فترات، الفترة الأولى: كان الآخر (اليونان، والرومان، وفارس) معلماً، وكانت الأنا (الحضارة الإسلامية الناشئة) متعلماً. وفي الفترة الثانية كانت الأنا (الحضارة الإسلامية في عصرها الذهبي) معلماً، وكان الآخر (الغرب في العصر الوسيط) متعلماً. ثم جاءت العصور الحديثة بفترة ثالثة أصبحت الأنا فيها متعلماً، والآخر معلماً كما كان الحال في الفترة الأولى^(٣).

في الفترة الثالثة من الجدال الحضاري بين الأنا والآخر، كثرت الرحلات إلى الغرب، وتعددت التأليف في هذا العالم الجديد: ومن هذه التأليف: "تخليص الإبريز في تلخيص باريز"،

(١) الطاهر لبيب، "الآخر في الثقافة العربية"، في كتاب: صورة الآخر: العربي ناظراً ومنظوراً إليه، تحرير الطاهر لبيب، (بيروت: مركز دراسات الوحدة

العربية، ١٩٩٩)، ص ١٩٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٩٧، ٢٠١.

(٣) حسن حنفي، "جدل الأنا والآخر: دراسة في "تخليص الإبريز" للطهطاوي"، في كتاب: صورة الآخر: العربي ناظراً ومنظوراً إليه، تحرير الطاهر لبيب،

(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٩)، ص ٢٨٣-٢٨٤.

لرفاعة رافع الطهطاوي، وهو بحث في الآخر، أي في الجبهة الثانية في الفكر العربي المعاصر، وفيه نجد أن الأنا إنما هي إطار جغرافي للآخر، فلا توجد جغرافيا لباريس في ذاتها، بل بالمقارنة مع جغرافية الإسكندرية أو القاهرة التي يطلق عليها الطهطاوي اسم مصر. كما أن الأنا هي مرجع تاريخي للآخر حيث يضع الطهطاوي الأنا في مسار تاريخها الهجري، ويلحق مسار تاريخ الآخر قبل أن يحدث الاغتراب في الوعي العربي الإسلامي ويصبح مسار تاريخ الآخر هو المرجع التاريخي لمسار تاريخ الأنا. ونجد كذلك بأن الأنا تعرب الآخر، فقد استطاعت الأنا تعريب الآخر أكثر مما استطاع الآخر فرنسة الأنا^(٤).

يصف الطهطاوي الآخر في مرآة الحياة الاجتماعية فيظهر الآخر بأنه، بخيل، محب للغرباء، ذكي، نظيف، قليلة عفه النساء لديهم وعدم غيرة الرجال عليهن، عكس ما في الإسلام، وهو عارف لحقوقه وواجباته، وفي للوعد، صادق، ويتساوى لديهم المرأة والرجل في الحقوق والواجبات والسياحة والأسفار. لديه عنصرية قائمة على اللون، (فالآخر هو الأبيض وآخره هو الأسود).. الخ. كما أن الشذوذ الجنسي أصبح سنة شائعة عند الأوروبيين الآن، وحقا طبيعيا من حقوق الإنسان، واحد مظاهر الحرية الجسدية^(٥).

ويظهر الطهطاوي مقابلة بين الأنا والآخر في العلوم، فيرى بان الأنا تفوق في علوم الدين، في حين تفوق الآخر في علوم الدنيا. فأن كان سبب قوة الآخر هو العلوم الدنيوية فأن سبب ضعف الأنا هو ضياع هذه العلوم منه. لقد عرف الآخر الدنيا فعرف الدين، وعرفت الأنا الدين، فجهلت الدين والدنيا معا، وقد جهلنا الفنون أو العلوم العامة والخاصة معا. وإذا كان الغرب قد فرق بين العلم والفن وأبدع في كليهما، فأننا وحدنا بينهما وتأخرنا فيها^(٦).

هذا هو الأوروبي في ثقافة الطهطاوي، أما في الثقافة المغربية فأنه مشرك، كافر، نصراني، خائن للعهود والمواثيق، والدليل على ذلك ما فعله نصارى الأندلس بالمسلمين من تنكيل وتعذيب وذبح، وإحراق رغم المواثيق التي وقعها الطرفان وهي المواثيق التي تنص على ضمان حريات المسلمين في الأندلس بعد وقوعها تحت حكم ملوك الأسبان^(٧).

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٨٤-٢٩٢.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٩٢-٢٩٥.

(٦) المصدر نفسه، ص ٣٠٠.

(٧) عبد السلام حيمر، "صورة الآخر من خلال تقارير الرحلات السفارية المغربية إلى أوروبا"، في كتاب: الآخر: العربي ناظراً ومنظوراً إليه، تحرير الطاهر لبيب، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٩)، ص ٣١٥.

لقد عمق الاستعمار ازدواجية صورته: صورة العدو المتقدم. وهي ازدواجية ثابتة، تقريبا منذ النهضة إلى اليوم، ولو مال أحد جناحيها في الأزمات والمواجهات. كما ظهر مفهوم التخلف التاريخي، فأصبح العربي معه بين آخرين يتباعدان: آخر التراث والآخر الغربي. ومهما كان استحضار الماضي أو تغييره، فصورة الغرب ماثلة لا مناص منها في كل الحالات، ولو لتهديمها^(٨).

إن صورة الآخر ترسم من خلال الواقع الذي بنيت فيه: فعندما كان المجتمع في قوته وكانت ثقافته في مداها لم يكن الآخر مشكلة ولا جحيماً. وعندما فقد المجتمع قوته ومناعته واهتزت ثقافته فانكشفت دفاعاً عن الذات، أصبح الآخر المهدد لها عدواً لا ترى غيره^(٩).

إن مجتمعا عربيا تكون له القوة والمناعة ويكون فيه التعدد، مع إمكان التعبير الحر عنه، يمكن أن يفك حصار مخيلته وإن يتسع في ثقافته مجال الآخر لغير الغرب ولغير العدو.

ثانياً: مرجعيات النظر العربي الإسلامي إلى الآخر

إن الإسلام يحمل تصوراً للعالم والطبيعة، ويملي على المؤمن شروط اتخاذ مواقف من الأشياء والحياة وما بعد الحياة، ويعين له نمط سلوكه وصيغ علائقه، وأساليب ترتيبها وتسيرها، انطلاقاً من نص تأسيسي، ومن رؤية محددة تستمد مقوماتها من النص القرآني الكريم^(١٠).

فالشخص في التصور القرآني، يحضر من خلال الكائن، انه "الكائن في تشخصه.. والشخص يتضمن الكائن من حيث كونه يتخطاه". والاستقلالية النسبية التي يحوزها الشخص لا تكتسب دلالاتها الفعلية إلا ضمن علاقات تداوتية، أي داخل "أنا جماعية" تحتضن الذات المختلفة، في تجلياتها المتشخصة، في توازن بين الخاص والعام وبين الذات والآخر. فالإقرار بالأننا أو بالذات هو تأكيد على وجود الآخرين، والانا تحوز استقلالها النسبي داخل ترابط متشابك مع النحن. ينسحب هذا الفهم القرآني للتداوت، بكل ما يفترضه من شحنة رمزية، على البسيط والمعقد، الخاص والعام، العرب والعالم^(١١).

^(٨) لبيب، "الآخر في الثقافة العربية"، ص ٢٢٦.

^(٩) المصدر نفسه، ص ٢٢٧.

^(١٠) محمد افاية، الغرب المتخيل: صور الآخر في الفكر العربي الإسلامي الوسيط، ط ١ (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠)، ص ٤٥.

^(١١) المصدر نفسه، ص ٥٣-٥٤.

إن النظرة التي تحملها نصوص آيات القرآن الكريم لاهل الكتاب، تتفاوت مضامينها وحيثياتها، وتدرج ضمن تصور شامل للآخر المختلف دينياً، فالرؤية القرآنية للآخر تتحدد في المتخيل الديني العام على أساس وحدة الانتماء الإنساني والعقائدي من جهة، وعلى قاعدة التمايز والاختلاف من جهة ثانية. هكذا يقر الخطاب القرآني بالاختلافات العرقية واللسانية والاجتماعية وكذلك في الدين والرأي. وهو إذ يؤكد على هذا المبدأ فإنه ليدعو إلى التواصل والتعارف، بكل ما يفترضه ذلك من نبذ للتعصب ولإرادة الإلغاء.

والآخر بقدر ما نعثر له على مواصفات وملامح، تتفاوت بتفاوت طبيعة الاختلاف المعن، نجده حاملاً لصور متعالية ومتخيلة قد لا تستجيب لإرادة وضعية للمعرفة. لذلك فإن التصور القرآني للآخر مركب، من حيث الإحالات والسياقات والرموز، وهو لهذا السبب قابل لاكثر من تأويل ويتوافق مع أكثر من رأي^(١٢).

عبر الخطاب القرآني عن وعي كبير بالآخر، وعن إدراك مميز لتاريخية الفعالية النبوية، سواء من حيث سيرورتها التوحيدية، أو من زاوية تموقعها في الفضاء العام للجزيرة العربية وللعالم. وقد أشاد النص القرآني في اكثر من سياق، إلى بعض الجماعات التي استوطنت الجزيرة حيث كانت تقرأ وتتلو وتكتب وتحوز علماً وتشره حسب فنونها وأسايبها الخاصة، من أهل الكتاب ومن غيرهم. هكذا تقدم الإسلام إلى العالم، بوصفه تعبيراً عن فوران قدسي وإنساني جديد، وهو يحمل مقومات المشروع الدينية والرمزية لاعادة بناء إنسية جديدة، تدعو إلى تأسيس منظومة مغايرة ضمن فهم خاص للآخر وللأختلاف الديني^(١٣).

إن التتويج الديني المطلق لمفهوم التوحيد في الإسلام، والصيغة الشمولية المكتملة التي تقدم بها إلى المسلمين والى الآخر، والانتصارات الكبيرة التي أنجزها في ظروف استثنائية وبايقاع زمني فريد، كل ذلك جعل المسلمين، قادة وتابعين، يقنعون بأن "الدين عند الله الإسلام"، وبأن الآخرين عليهم التسليم بهذه الحقيقة، إما بالعنف، أو بالتفاوض، أو بالتساكن، المهم أن يقبل الآخر، بتفوق المشروع الإسلامي، دينا واجتماعا وحضارة^(١٤).

إن النظرة الإسلامية إلى الغير، المختلف دينياً وفكرياً واجتماعياً، بقدر ما عبرت عن متخيل ديني إسلامي، فإنها بحكم انصهار واندماج وتفاعل المسلمين موضوعياً مع الآخرين،

^(١٢) المصدر نفسه، ص ٦٣، ٦٤، (٧٨-٨٠).

^(١٣) المصدر نفسه، ص ٨١.

^(١٤) المصدر نفسه، ص ٨٧.

أدمجت في ثناياها عناصر جديدة حتى ولو خضعت تلك النظرة، في بنيتها المؤسسة، لمرجعية قدسية^(١٥).

يلج الخطاب القرآني على مجادلة أهل الكتاب "بالتي هي أحسن"، كما يؤكد على أن العلاقة مع الآخر تتم بناء على قاعدة "لا إكراه في الدين"، في نفس الوقت نرى أن النصوص القرآنية تكرر الصورة السلبية لليهود في حين تعطي صورة إيجابية نسبياً للنصارى، وتشجع على التفاعل معهم، سواء كانوا من النصارى العرب أو المستعربة أو الذين الحقوا بجسم الدولة الإسلامية فيما بعد. ولقد كان الموقف من النصارى واضحاً في العهد النبوي والراشدي، إلا أن سياسة الدولة الإسلامية تجاه الاختلاف الديني، وكل مظاهر الاختلاف تأثرت وبشكل كبير بطبيعة الحكم الذي يوجه هذه السياسة. فالسلطة كانت بحاجة إلى معرفة لضبط التوازن وخلق النظام. والحكم على الآخر كثيراً ما خضع لملاسات تلك العلاقة المتشابكة بين السياسة والمعرفة^(١٦).

إن النظرة إلى الآخر، سواء في وجوده الموضوعي إن النظرة إلى الآخر، سواء في وجوده الموضوعي أو في إدراكه المتخيل، تمنح لسيرورة الوعي الإسلامي بالذات أبعاداً مترابطة. فعلى الرغم من الشعور البارز بالتفوق الديني والحضاري، والإقرار بمساواة الكائنات البشرية، فإن منطلق الإنتشار والفتح، وواقع الاحتكاك بالآخرين جعل المثقف المسلم يضيف بعض النسبية على أحكامه. فتأكيد الجاحظ، مثلاً، على حكمة اليونان وحادقة الصين والخبرة السياسية للفرس، يبين مدى استعداد الوعي العربي الإسلامي على الاعتراف بقدرات الآخرين، وعلى التسليم باختلافهم مهما كانت الفروق الدينية والحضارية^(١٧).

ثالثاً: موقف الشباب التونسي من البلدان الغربية

لقد مرت الحضارة العربية الإسلامية السائدة في تونس منذ قيام الإمبراطورية الإسلامية في القرن الثامن بتغيرات واضحة وملموسة، خصوصاً بعد غزو البلاد واستعمارها من قبل فرنسا في عام ١٨٨١. وأصبح قطاع التعليم والمدارس ميداناً للصراع بين دعاة تبني الحضارة الفرنسية (الغربية) وفرضها من جهة، والمدافعين عن الثقافة العربية الإسلامية، الساعين إلى تعزيز نمط الحياة والهوية والتوجه العربي الإسلامي التقليدي، من جهة أخرى. ومنذ سبعينيات القرن الماضي،

^(١٥) المصدر نفسه، ص ٨٩.

^(١٦) المصدر نفسه، ص (١٠٣-١٠٥).

^(١٧) المصدر نفسه، ص ١١٩.

أخذ كبار الإصلاحيين في تونس يناضلون في هذا المجال من أجل التوصل إلى معادلة مثلى تحتفظ بالتراث العربي الإسلامي، وتقتبس من الغرب في الوقت نفسه - من فرنسا وأوروبا بوجه عام - ما تختاره من نتاج الثقافة المعاصرة. وهذه المواجهة الحضارية مع أوروبا، والغرب بصفة عامة، ما تزال تثير ممارسة التونسيين، وتمدهم بالحيوية^(١٨).

لا يوجد بين يدي دراسة لموقف الشباب التونسي من البلدان الغربية، ولكن سوف أعتمد على دراسة ميخائيل سليمان لموقف الشباب التونسي من البلدان الأخرى - وهي دراسة اعتمدت على بحثين ميدانيين، أجري الأول عام ١٩٨٨ على ١٦١٨ طالباً تونسياً، من ستة عشر مدرسة من الصف الرابع وحتى الصف التاسع، والثاني أجري عام ١٩٩٤، وهو عبارة عن مقابلات مع موظفين وزارة التربية والتعليم التونسية - والتي شملت موقف الشباب التونسي من اثنان وعشرون دولة تشمل دول عربية، وآسيوية، والتي من خلالها سوف نقيس لموقف الشباب التونسي من البلدان الغربية^(١٩).

لقد حازت فرنسا على الترتيب العاشر لأفضلية الشباب التونسي، وهذا يدل على أن فرنسا لم تعد تحتل مكانة خاصة في عقول التونسيين وقلوبهم، فهي اليوم لا تختلف كثيراً عن غيرها من البلدان الغربية - كسويسرا والولايات المتحدة وإسبانيا، واليونان وكندا - بعد أن كانت تتربع على سلم أفضليات التونسيين، لما تركه استعمارها من أثر في نفوس الشباب. ويتضح أن النظرة إلى هذا البلد المستعمر تصبح أقل إيجابية من البلدان الأخرى كلما شب الطالب ودرس تاريخ بلاده، وتنامى لديه شعور قوي بالهوية، وذلك على الرغم من العلاقات القوية التي تربط تونس بفرنسا^(٢٠).

أما الولايات المتحدة الأمريكية فقد حازت على الترتيب الرابع عشر لأفضلية الشباب التونسي، وتجدر الإشارة إلى أن نظرة طلاب المراحل الثانوية إلى الولايات المتحدة الأمريكية هي غالباً أكثر إيجابية من نظرة طلاب المعاهد المتوسطة. وأحد التفسيرات المحتملة لذلك هو أن الطلاب الثانويين غالباً ما يدخلون الجامعة ويواصلون تعليمهم العالي، ولذلك فهم ينظرون إلى الفرص الأكاديمية المتوفرة في تلك البلد على أنها متاحة لهم مبدئياً. أمّا طلاب المعاهد فيدركون أن

^(١٨) ميخائيل سليمان، "تونس والعالم: موقف الشباب التونسي من البلدان الأخرى"، في كتاب: صورة الآخر: العربي ناظراً ومنظوراً إليه، تحرير الطاهر

ليب، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٩)، ص ٣٩٧.

^(١٩) المصدر نفسه، ص (٣٩٧-٤١٨).

^(٢٠) المصدر نفسه، ص (٤٠٠-٤٠٦).

أهدافهم غير ممكنة التحقيق، فيشعرون بالإحباط ويصنفون هذا البلد في مراتب متأخرة. وتحظى الولايات المتحدة بقدر أكبر من التأييد في الأسر التي تكون فيها الأم أو الوالدان على مستوى عالٍ من التعليم^(٢١).

إذاً، فمن الواضح أن موقف الشباب التونسي من البلدان الغربية هو موقف أقل إيجابية، حيث كانت الأولويات لديه في التفضيل هي لدول عربية وإسلامية، فقد احتلت العربية السعودية المرتبة الأولى، واحتلت فلسطين المرتبة الثانية. أما الدولة الأكثر تفضيلاً لديه من الدول الغربية، فكانت فرنسا والتي حازت على المرتبة العاشرة. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على تنامي شعور قوي بالهوية العربية لدى الشباب التونسي الأمر الذي دفعهم لعدم الإنبهار بالحضارة الغربية ومؤسساتها، رغم الأثر القوي الذي تركته في نفوسهم خلال فترة استعمارها.

^(٢١) المصدر نفسه، ص (٤٠٦-٤١٦).

الفصل الثالث: نظرة الآخر إلى العرب

أولاً: عناصر الصور النمطية المسيحية عن الإسلام

تتأثر الصور النمطية التي يحملها الشخص بالثقافة، وبشكل خاص بوسائل الإعلام والمؤلفات الأدبية، السائدة في مجتمعه. فصورة العرب السلبية في الغرب يمكن إرجاعها إلى محددات تاريخية ومحددات ثقافية وحضارية. وأهم المحددات التاريخية الحروب الصليبية وما نتج عنها من تشويه للصورة العربية في أوروبا، أما المحددات الثقافية والحضارية فأهمها المؤلفات العدائية عن الإسلام والعرب^(١).

يندهش الباحثين في تاريخ العلاقات الإسلامية المسيحية من التفجر الكبير لعناصر المتخيل فيما يخص إدراك الآخر من المنظور المسيحي، الذي استثمر كل الوسائل الكفيلة بتكوين متخيل جمعي يعلي من شأن الذات ويقدم الآخر في أشكال انتقامية، شيطانية، تمنح كل المنخرطين في الحركة العامة حوافز التعبئة، والإيمان بعدوانيته وشراسته، لدرجة يصل فيها المحارب إلى خلق شعور لديه بأنه حين يحارب ضد المسلمين، فإنه يحارب الظلام قصد إشاعة النور^(٢).

لقد تشكلت الصور النمطية المسيحية عن الإسلام بالتدريج، وعبرت، بكيفيات مختلفة، عن الاهتمام المسيحي الأوروبي بالواقعة الإسلامية، بحيث يمكن القول بأن الصورة المسيحية عن الإسلام، أو التعبير المسيحي بالوعي الضدي بالآخر، جاءت نتاج الأدبيات التي وضعها رجال الكنيسة، وعلماء الكلام والمؤرخين والدعاة، بالدرجة الأولى، لسبب بسيط هو أنه من العصر الوسيط إلى النهضة كان رجال الكنيسة والرهبان والكهان وموظفو الكنيسة الكبار هم الذي يمتلكون مفاتيح المعرفة ويتكفلون بتربية المؤمنين بكتاباتهم ودعواتهم^(٣).

ثلاث صور تتكرر باستمرار، في كل الكتابات الغربية عن الإسلام، وهي صور بقدر ما تم إبرازها في نصوص بعض رجال الكنيسة، عملت المخيلة الشعبية من جهتها على التغني بها والاحتفال بمضامينها الحربية... أولى الصور تمثل في اعتبار الإسلام دينا وثنيا، وبأن نبوة محمد مشكوك في صحتها وصدقيتها. إن الجمع بين الإسلام والوثنية تحرك في اللاوعي المسيحي الجمعي الخوف من انتعاش جديد للوثنية التي هددت المسيحية أكثر من مرة، كما ينشط صور

^(١) محمود ميعاري، "الذات والآخر في نظر الشباب الفلسطيني"، مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد ٢٥، العدد ١، (١٩٩٧)، ص ١٠٧.

^(٢) محمد افاية، الغرب المتخيل: صور الآخر في الفكر العربي الإسلامي الوسيط، ط ١ (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠)، ص ١٢٧-١٢٨.

^(٣) المصدر نفسه، ص ١٢٩.

"شهداء الإيمان" الذين سقطوا ضحية الفتح الإسلامي للمناطق المسيحية، ويعمق الشعور بضرورة إنقاذ المسيحية من خطر ديانة "ماكرة"، وتحرير الأماكن المقدسة من براثنها^(٤).

أما الصورة النمطية الثانية عن الإسلام فهي انه دين عنيف شعاره السيف والحرب والقتال، وهذه الصفات تمثل النقيض المباشر للمسيحية، وتقدم المسلم الى مساحة الإدراك المسيحي الأوروبي باعتباره رجلاً محارباً شرساً، متوحشاً، يقوم بكل أنواع النهب والتكيل، خالفاً بذلك وراءه تعاسة وشفاء لا يوصفان. ويمثل الرجل المسلم كل تعبيرات العدوانية، يحركه ميل قوي إلى القتل. لقد اعتبرت القوة على نطاق عام تقريباً، عنصراً مؤسساً للديانة الإسلامية وعلامة بديهية على الضلال. وهكذا فإن "الصورة النمطية لا تستمد جذورها من الواقع الذي من الجائز ان يكون قد تعرض لتشويه من طرف الآخر، انه ينبعث من فكر الآخر، في سياق نية الإساءة والدفع بالعمل الحربي إلى الغزو"، سيما وان الكنيسة بحاجة إلى تضخيم العلاقة بين الإسلام والعنف للتغطية على التحول المذهبي الكبير الذي طرأ على الموقف المسيحي من الحرب^(٥).

الصورة النمطية الثالثة التي صاغتها المخيلة المسيحية الغربية عن الإسلام، تتعلق بحياة النبي وبعلاقاته بالمرأة وبموقفه من المسألة الجنسية. لقد عمل رجال الكنيسة المسيحيين على بناء سيرة ذاتية للنبي خاصة بهم. لعبت فيها المخيلة دوراً كبيراً في إنتاج الصور واختلاق الأكاذيب، فقد دمجا بعض التفاصيل الغربية من الصحة في قالب متخيل يجعل من التهويل والتضخيم قاعدته، وتوليد النفور والاشمئزاز غايته. فالنبي عندهم رجل شقي، ينغمس في عوالم اللذة بشكل عبثي، ينادي بتعدد النساء وبالتمتع بالحياة معهن. وفي عرف المسيحي الداعي إلى الورع والتقشف والتعالى عن اللذة والامتناع عن الزواج، يمثل هذا السلوك قمة التفسخ والانحلال الخلفي، وهو ما استغلوه، في كتاباتهم للتشكيك في نبوة الرسول، مدركين أن الهجوم عليه وعلى المسلمين الذين اتبعوه يمثل أحسن وسيلة لتقديم صورة سائئة عنه، ولتدمير صدق رسالته. ولا غرابة في ذلك إذ أن تعزيز الوعي المسيحي بالذات كان بحاجة إلى تقديم الآخر في أكثر أشكاله عدوانية وتشوها^(٦).

أما انزو باتشي فأنها تعرض العناصر المكونة لهذه الصورة عرضاً تأليفاً على النحو التالي^(٧) :

^(٤) المصدر نفسه، (١٣٣-١٣٥).

^(٥) المصدر نفسه، (١٣٥-١٣٧).

^(٦) المصدر نفسه، (١٣٨-١٤٢).

^(٧) آنزو باتشي، "الكنيسة الكاثوليكية والإسلام"، في كتاب: صورة الآخر: العربي ناظراً ومنظوراً إليه، تحرير الطاهر لبيب، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٩)، ص ٥١٢.

أ. الإسلام هرطقة مسيحية.

ب. يقب محمد باعث الإسلام بألقاب شأنه شأن اليهود (اليهود الدجالون بحسب الطقس الكاثوليكي).

ت. نعت الديانة المحمدية بديانة المتعة الجسدية.

ث. وعليه، فإن الإسلام أدنى مرتبة من المسيحية.

إذاً، فكل الصور النمطية عن الإسلام تدور في فلك تشويه صورة الإسلام وصورة نبيه محمد (صلعم). فالإسلام دين وثني عنيف يدعو للحرب والقتل، والنبي محمد مشكوك بنبوته فهو رجل شقي لا هم له سوى التمتع بالنساء.

ثانياً: صورة المجتمع العربي الإسلامي عبر التاريخ

لقد نظر الغرب منذ البداية إلى المشرق كمنطقة متممة ومضادة له، وعملت التوراة وظهور المسيحية والمؤرخون والرحالة القدامى على تحديد العلاقة بين الطرفين، ثم جاء الإسلام في القرن السابع ليعمق هويتها. لقد تخوفت المسيحية من الإسلام ورأت فيه تهديداً كبيراً لها وللإهودية. وبحلول القرنين الثالث عشر والرابع عشر، وصل حكم الإسلام حتى شرقي الهند وإندونيسيا والصين، ولم تستطع أوروبا مجابهة ذلك الفتح إلا بالخوف والعداء، الذي أخذ شكل سجالات هجومية وحروب مقدسة ونشاط المبشرين الهادف إلى رد المسلمين عن دينهم وتدميرهم. وبعد ذلك ولاعتبارات تجارية وسياسية فقد درس الغرب الإسلام والثقافة الإسلامية بغرض إخضاعها لسيطرته الإمبريالية. إن الاتجاهات السلبية والعداء نحو الإسلام والعرب أعاق الفهم لما يرمي إليه الإسلام في واقع أمره. كما قوِّلت صورة ذهنية للعرب والمسلمين^(٨).

إنها الصورة التي تتخذ أشكالاً متقاربة من حيث ارتسامها في ذاكرة المجتمعات الغربية، إذ تختزل في أغلب الأحيان في الإنسان الذي لا يرتبط بالحياة البشرية بغير الخيمة، والاجتماعية بغير القبيلة وروابط القرابة، يترحل على أرض قاحلة وسيلته في ذلك الجمل، مجاله فقر مكنوز بالذهب الأسود. وعلى غرار هذه الصورة المتكررة عبر وسائل الإعلام الموجهة، تنتشر عبر تنشئة ثقافية

(٨) حلمي ساري، صورة العرب في الصحافة البريطانية: دراسة اجتماعية للثبات والتغير في مجمل الصورة، ترجمة عطا عبد الوهاب، ط ١ (بيروت: مركز

دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٨)، ص ٥٨.

موجهة، رغم الروابط الدبلوماسية والروابط الاقتصادية الحيوية، تنشأ الأجيال، وعلى ضوء تلك الصورة تتشكل اتجاهات الرأي العام التي تتفاعل مع الأحداث السياسية والعسكرية^(٩).

لقد نظر العلماء والرحالة والكتاب المستشرقون إلى المشرق على أنه: بلا حياة أساسا، وأنه راكد، متخلف، وبأمس الحاجة إلى إعادة الحياة إليه بواسطة الغرب. وقد تم ترويج ومؤسسة وشعبنة تلك الصورة حتى غدت جزءا من الثقافة العربية^(١٠).

إن كتابات الأوروبيين في القرن الثامن، تشوه الإسلام كديانة، وتحط من قدر محمد (صلعم) كنبى ورسول. وقد استمر هذا التجريح والتشويه حتى القرن التاسع عشر، حينما أخذ الاستعمار الغربي في العالم الإسلامي يشعر المسلمين بالقلق والفرع، من خلال حملات التبشير التي تشكك في الإسلام خاصة بين مسلمي القارة الهندية^(١١).

منذ القرن الثاني عشر، وفيه ترجم القرآن من قبل رجال الدين المسيحيين الى اللغة اللاتينية، كانت صورة محمد (صلعم) في أذهان الغربيين على انه نبي: كذاب، كافر، داعر، وزان، أما مفهوم الإسلام لديهم فقد ارتبط بروح الغزو، والعنف، والتعصب، فالإسلام دين شهواني مادي يركز على تعدد الزوجات^(١٢).

وفي القرن السابع عشر وحتى التاسع عشر لم يطرأ تحسن يذكر على صورة العرب المسلمين لدى الغربيين، فهذا فولتيريه (مستشرق فرنسي) يتحدث عن آرائه حول القرآن فيقول: من يقرأ القرآن يعترف بأنه لا يقدم أي مفهوم عن واجبات الناس في المجتمع، و لا عن تكوين الهيئة السياسية، ولا عن مبادئ فن الحكم، وبكلمة واحدة، لا شيء مما يشكل نظاما تشريعيا. ما يوجد فيه هو أمور خاصة بتعدد الزوجات والطلاق والرق والإرث.. وانه من خلال هذه الفوضى للهذيان المستمر، فان الفكر العام السائد، والمعنى المكثف يتمثلان في التعصب الحاد والعنيد.. ولم يكن هدف محمد الهداية، بل السيطرة، ولم يكن يبحث عن أتباع بل عن رعايا^(١٣).

^(٩) محمد نجيب بوطالب، "العلوم الاجتماعية والاستشراق: صورة المجتمع العربي الإسلامي"، في كتاب: صورة الآخر: العربي ناظرا ومنظورا إليه، تحرير الطاهر ليب، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٩)، ص (٤٣٣-٤٣٤).

^(١٠) ساري، صورة العرب في الصحافة البريطانية: دراسة اجتماعية للثبات والتغير في مجمل الصورة، ص ٥٩.

^(١١) يوسف الحسن، الحوار الإسلامي المسيحي: الفرص والتحديات، ط١ (ابو ظبي: المجمع الثقافي، ١٩٩٧)، ص ٢٤.

^(١٢) جمال الشلي، العرب وأوروبا: رؤية سياسية معاصرة، ط ١ (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٠)، ص ٣٠.

^(١٣) المصدر نفسه، ص ٣٤.

لقد وصفت الشعوب العربية بأنها تعاني من نقص في قدراتها السياسية والثقافية والحضارية، واعتبرت أوضاعها "الراكدة" عاملاً معرقلاً للتقدم البشري. وهذا ما جعل الرأي العام الأوروبي في القرن التاسع عشر يجند ويعبأ من أجل التهيئة للاستعمار، فاعتبرت أوروبا نفسها مسؤولة للقيام بدور حضاري في الشرق. فالحضارة الغربية هي خلاصة التطور وباقي المجموعات الحضارية "بدائية" تعيش طور التوحش والهمجية والقبلية وشتى أوجه الانحلال والتخلف^(١٤).

وفي القرن العشرين، نجد أن الصورة النمطية السيئة والقاتمة للإسلام والعرب في العصور الوسطى، وما تلاها من مرحلتين استنشاق واستعمار، لا تختلف كثيراً عن الصورة النمطية المرسلّة عن طريق وسائل الإعلام الغربية الحديثة التي يصوغها السياسيون والإعلاميون، ومن يسمون اليوم "بخبراء الإسلام والدراسات الشرقية وشؤون الشرق الأوسط"، في المجتمعات الغربية^(١٥).

كان الزي المخصص لحفل التخرج في جامعة برنستون عام ١٩٦٧، قد صمم قبل حرب حزيران على أن يكون عربياً، وهو ثوب ولباس رأس وحذاء (صندل)، وبعد الحرب مباشرة صدر مرسوم بتغيير الخطة الموضوعية، وقضت الخطة الجديدة بأن يسير الخريجون المحتقن بهم وهم يرتدون الزي، كما كان مقرراً في الأصل، في موكب رافعين أيديهم فوق رؤوسهم بحركة تعبير عن الهزيمة. وتتغير الصورة بعد ذلك بعدة سنوات، ففي عام ١٩٧٣ برزت بانتظام رسوم ورقية تصور شيخاً عربياً يقف وراء مضخة بنزين. لكن هؤلاء العرب كانوا "بخلاء ساميين"، وكانت أنوفهم المعقوفة والنظرات الشذراء تذكر بوضوح بأن العرب الساميين هم وراء "مصائب الغرب"^(١٦).

إذاً، فالأصولية، والإرهاب، والتطرف، والبدادة، والتخلف، والعنف، والبترو دولار، والحجاب، كل هذه المفاهيم برأي الغرب ووسائل إعلامه، هي سمات وخصائص (الآخر) الشرق، وخاصة العرب والمسلمين.

^(١٤) بو طالب، "العلوم الاجتماعية والاستشراق: صورة المجتمع العربي الإسلامي"، ص (٤٣٧-٤٣٨).

^(١٥) الشليلي، العرب وأوروبا: رؤية سياسية معاصرة، ص (٣٦-٣٧).

^(١٦) سالم لبيض، "من الاستشراق إلى نهاية التاريخ: الفكر الغربي والآخر"، المستقبل العربي، العدد ٢١١ (أيلول ١٩٩٦)، ص ٢٢.

لقد أقام الأوروبيين منذ القدم ثنائية تعارضية بين الشرق والغرب، ضمنوها نزعة مركزية أوروبية تمجد الغرب وتحط من شأن الشرق. وفي العصر الحديث ومع تعاظم التقدم الاقتصادي والتوسع الاستعماري، فقد ترسخت صورة التقدم على الشرق الذي كان يقود العالم. فتعمقت الصورة السلبية وزادها الازدراء والحكم على دونية الآخر. وتمت صياغة العالم انطلاقاً من مركز أوروبي يتحكم سياسياً وعسكرياً، وبالتالي ثقافياً وعلمياً.

ثالثاً: صورة العرب والإسلام في وسائل الإعلام الفرنسية

I. الرأي العام الفرنسي والقضايا العربية

يشكل العرب والمسلمين - حسب الإحصاءات الرسمية الفرنسية - ثلاثة ملايين نسمة، ويعد الإسلام بذلك ثاني أكبر طائفة دينية في فرنسا بعد المسيحية الكاثوليكية^(١٧).

ان موقف فرنسا من العرب والإسلام لا يختلف عن بقية الدول الغربية التي ترى العرب شعباً بدائياً متخلفاً. لذلك لم تتردد فرنسا بالاعتراف بإسرائيل عام ١٩٤٨، ومساعدتها في بناء ترسانتها العسكرية، وحتى الذرية منذ الخمسينيات من هذا القرن^(١٨).

وفي استطلاع للرأي العام أجرى خلال حرب حزيران ١٩٦٧ سئل المبحوثين: في حال وقوع نزاع بين إسرائيل والبلدان العربية مع من تتعاطف؟ فأجاب ٥٨% مع إسرائيل، في حين أجاب ٢% فقط مع البلدان العربية. وفي سؤال آخر من هو المسؤول عن الحرب؟ أجاب ٦% إسرائيل، في حين رأى ٥٤% أن البلدان العربية هي المسؤولة^(١٩).

وفي استطلاع ثاني للرأي أجرى اثر تورط إسرائيل في مذابح صبرا وشاتيلا ضد الفلسطينيين، فكانت النتائج كما يلي: ٣٧% من المستجوبين عبروا عن استمرار تعاطفهم العميق مع إسرائيل، في حين لم يتجاوب مع مظالم الشعب الفلسطيني سوى ٢١% فقط^(٢٠).

^(١٧) الشلي، العرب وأوروبا: رؤية سياسية معاصرة، ص ٣٩.

^(١٨) المصدر نفسه، ص ٤٠.

^(١٩) المصدر نفسه، ص ٤٢.

^(٢٠) المصدر نفسه، ص ٤٤.

في استطلاع ثالث للرأي أجراه مركز المعلومات في الجيش الفرنسي عام ١٩٨٦، على طلاب (١٦-١٨) عام، اعتبر هؤلاء أن أهم الأسباب التي قد تؤدي إلى نشوب حرب عالمية مفاجئة هي: الأصولية ٢٦%، والإرهاب ٢٢%، وعلى ما يبدو أن هذه المفاهيم والمصطلحات كانت تشير بشكل أو بآخر إما للعرب أو للمسلمين^(٢١).

إن موقف الرأي العام الفرنسي حول القضايا العربية لم يأت من فراغ، وإنما هناك عوامل موضوعية ساعدت على خلق وتكوين وتشكيل ذلك الرأي، فالعلاقة التاريخية الطويلة بين اليهود والفرنسيين، والتي جعلتهم في خندق واحد عام ١٩٥٦ في العدوان الثلاثي على مصر، إضافة إلى سيطرة البنية الثقافية الصهيونية على دور النشر، ووسائل الإعلام، كل ذلك ساعد على الإبقاء على صورة العرب في فرنسا مشوهة ومغلفة بالحقد والكرهية والتعالي، فالذاكرة الفرنسية في استرجاعها للعرب لا تتسلخ عن القيم الاستعمارية الغابرة: التقدم/ الانحطاط- التحضر/ التخلف- الرقي/ الهمجية. فالفرنسي العادي ينظر إلى الإنسان العربي من خلال نموذجين، الأول: كمهاجر ينتمي إلى عالم متخلف، رحل إلى فرنسا حاملا معه تراثه وقيمه البالية، وهو غير قادر على الاندماج في المجتمع الفرنسي المتحضر، وكرس مشاكل البلاد من البطالة والجريمة. الثاني: فيتمثل في الشيخ القادم من الصحراء، والذي يملك آبارا نفطية ومثلا بالدولارات، ينفق بدون حساب من أجل إشباع رغباته، ولا يتردد في رفع أسعار النفط لخنق الاقتصاد الغربي^(٢٢).

إذا، فالرأي العام الفرنسي مشوه ومقوبل ضد العرب والمسلمين، وهذا حال أوروبا بشكل عام، فإذا أرادت أوروبا أن تفتح على الإسلام وتفهم حضارته وأهله بشكل صحيح فإن عليها إن "تعيد النظر في برامج التعليم، ومحتويات الثقافة والإعلام، والتشريع والسياسة، من أجل تصحيح المعلومات المشوهة والفاصلة عن الإسلام، وبناء مناخ لا تنمو فيه مشاعر العنصرية والتطرف والغلو"^(٢٣).

II. صورة العربي في الصحافة المطبوعة والمرئية

إن الصورة العربية في الصحافة المطبوعة والمرئية الفرنسية، تلخص المضامين السياسية والدينية للعلاقة بين الغرب والعرب، والتي جعلت من الموروث التاريخي وسيلة للحشد والضغينة ضد العرب والمسلمين. وللخروج من حرج الازدواجية الناجمة عن أخذه بالديمقراطية في عصرنا

^(٢١) المصدر نفسه، ص ٤٦.

^(٢٢) المصدر نفسه، ص (٤٦ - ٤٨).

^(٢٣) الحسن، الحوار الإسلامي المسيحي: الفرص والتحديات، ص ٦٩.

الراهن، اندفع الغرب لتبرير سياسته باستخدام وسائل الإعلام، وإعطاء صورة سلبية عن الإسلام والعرب مستغلا كل ما يمكن أن يسيء إليهم ولقضاياهم^(٢٤).

ومن نماذج السلوك الإعلامي السياسي، بعض الملصقات الدعائية لقاموس لاروس الفرنسي، تحمل صورة رجل يرتدي ملابس عربية مزرية، ويجلس على الأرض ماسكا برسنة جملته بيده اليسرى، وبالقاموس مفتوحا بيده اليمنى، ليعني أن العرب على جهلهم يقدرّون هذا القاموس^(٢٥).

وهذه مجلة Express الفرنسية والتي يملكها اليهودي جيمس غولا، تظهر على غلافها صورة الكعبة في تشرين الثاني ١٩٧٩، وقد كتب بالخط العريض "الإسلامي يعني الحرب". أما في مجلة باري ماتش فنجد على الغلاف "الحرب المقدسة: مراسلونا في النقاط الساخنة من الإسلام"^(٢٦).

أما بالنسبة لدور التلفزيون في نقل صورة الإسلام والعرب للرأي العام الفرنسي، فنجد أن ٧٠% من الفرنسيين يعتمدون في معلوماتهم على التلفزيون، وهو لا يختلف في تعامله مع العرب والإسلام عن أسلوب الصحافة المطبوعة، فهذا مقدم الأخبار في القناة الثانية الفرنسية A2 أثناء حرب الخليج الثانية ١٩٩١، خرج يقول: "رئيس لبنان المسلم الياس الهراوي". وهناك مثال آخر من نفس القناة ولكن هذه المرة لمقدم برنامج ثقافي استضاف المفكر والمستعرب الفرنسي المعروف جاك بيرك، بمناسبة انتهائه من ترجمة القرآن الكريم إلى الفرنسية، حيث طرح عليه السؤال التالي: هل تعتبر القرآن كتابا مقدسا؟ وحين أجاب بيرك بالإيجاب، هب مقدم البرنامج صارخا "ألا ترى انه كتاب يدعو للحرب ونبذ السلام وانه مسؤول عن مآسي كثيرة حلت بالإنسانية على يد المسلمين والعرب؟!"^(٢٧).

وفي عام ١٩٨٨ توفي ثلاثة آلاف شخص في السودان، وجرت مجزرة في زائير راح ضحيتها ثلاثمائة طالب جامعي. ولكن كاميرات التلفزة الفرنسية ظلت موجهة على ثلاثة حيطان احتجزها الجليد في ألاسكا^(٢٨).

^(٢٤) الشلي، العرب وأوروبا: رؤية سياسية معاصرة، ص ٥٠.

^(٢٥) المصدر نفسه، ص ٥٠.

^(٢٦) المصدر نفسه، ص ٥١.

^(٢٧) المصدر نفسه، ص (٥١ - ٥٢).

^(٢٨) المصدر نفسه، ص ٥٤.

إذا، فالصورة نفسها تتكرر في وسائل الإعلام أيضا. صورة مشوهة مقولبة تصور العربي والمسلم بأبشع الصور، وبالتالي ليس غريبا أن نرى الرأي العام الفرنسي يحمل صورة مشوهة، لأن وسائل الإعلام شاركت وتشارك بجزء كبير في تشويه هذه الصورة.

III. صورة العربي في الكتب المدرسية

إن صورة العرب في الكتب المدرسية الفرنسية تشبه إلى حد كبير صورته لدى الرأي العام ووسائل الإعلام الفرنسية، صورة مشوهة تبتعد كثيراً عن الحقيقة بشكل يغذي رغبات صناع القرار في فرنسا.

قامت جمعية الإسلام والغرب بدراسة حول الكتب المدرسية في المرحلة الثانوية، فوجدت أن معظم الكتب المدرسية في أوروبا الغربية وفي فرنسا بالذات، تجمع على أن محمد (صلعم) كان تاجرا ونبيا وقائدا، وأن شخصيته شاذة نوعا ما، فهو قضى طفولته معذبا وتزوج من خديجة زواجا مصلحيا، وأنه كان يسعى إلى تحقيق مآرب سلطوية ومادية عبر الدعوة إلى الديانة الإسلامية، باعتباره كان محبا للمال، ويحلم بالمركز والسلطة والحكم^(٢٩).

أما الموسوعة الثقافية الفرنسية والتي تعتبر من أهم المراجع المعرفية والمعلوماتية للطلبة والمتقنين، فيصف محررها الرسول محمد (صلعم) بأنه "قاتل دجال، وخاطف نساء، وأكبر عدو للعقل الحر". أما موسوعة تاريخ الجنس البشري وتقدمه الثقافي والعلمي فنقول عن الإسلام بأنه "تركيب ملفق من المذاهب اليهودية والنصرانية، بالإضافة إلى التقاليد الوثنية العربية التي أبقى عليها الإسلام كطقوس قبلية تجعلها أكثر رسوخا في العقيدة"^(٣٠).

قام الباحث مارسيل بوازار بتقديم رسالة ماجستير في جامعة تولون عام ١٩٨٠، عن صورة الإسلام في القرون الوسطى عبر الكتب المدرسية من عام (١٩٤٥-١٩٨٠)، ولاحظ بأن الحضارة الإسلامية حظيت بنصيب ضئيل من الذكر في الكتب المدرسية، حيث حصلت على ٤% فقط من مضمون الكتب^(٣١).

^(٢٩) المصدر نفسه، ص ٥٤.

^(٣٠) المصدر نفسه، ص ٥٨.

^(٣١) المصدر نفسه، ص ٥٥.

إن السمتان السائدتان في مجموع السمات التي تخص العرب في الكتب المدرسية الفرنسية هما الماضوية وتجنب العرب في الزمن الحاضر. وحتى الحاضر الذي تعبر عنه مقتطفات الأدب المعاصر فهو حاضر يخص فئات هامشية من العرب: عمال مهاجرين في فرنسا وسكان مخيمات اللاجئين ومدن صفيح على هامش المدن العربية، فيبدو وكأن التحضر والتمدن بعيدان كل البعد عن كل ما هو عربي^(٣٢).

إن المجال الذي يشغله العرب في الكتب المدرسية غير محدد بشكل واضح، وكأن العرب من دون مكان ولا أرض، فنراه أحيانا صحراويا، وأحيانا أخرى غير موجود أصلا، وساهم في تأكيد هذا الغموض استخدام كل المؤلفين تعبير "الأراضي المقدسة" لوصف الحروب الصليبية، بدلا من فلسطين، وكأن كلمة فلسطين محظورة الاستخدام. شيء آخر يمكن ملاحظته في تلك الكتب وهو أن العروبة والتمدن لا يجتمعان في نظر مؤلفي تلك الكتب، فلا وجود في الكتب لـ "مدن عربية" أو "عمارة عربية" أو "فنون عربية". وتقدم الصورة والرسوم العالم الحضري العربي خاليا من البشر، أو به القليل بحيث لا يتعدون أربعة أشخاص. وقد تجنب مؤلفي الكتب استخدام مصطلح "العالم العربي" واستخدموا بدلا منه مصطلحات كثيرة، "كالمغرب والمشرق" أو "الصحراء الكبرى وشبه الجزيرة العربية"^(٣٣).

هناك خلط وترادف بين "العربي والمسلم" بين "الحضارة الإسلامية والحضارة العربية"، غير أن هناك سمات للحضارة الإسلامية كانت محلا لشبه إجماع بين مؤلفي الكتب المدرسية الفرنسية منها: أن الإسلام دين القواعد والخضوع، وأن التوسع السريع للإسلام لم يهتم بشرح أسبابه الجغرافية السياسية وسياقه التاريخي مع التأكيد على أن تاريخ الحضارة الإسلامية هو تاريخ لانقسامات مستمرة، ذو أحادية ثقافية وعرقية. وأخيراً فإن المجتمع الإسلامي مجتمع عبودي^(٣٤).

إن فكرة المجابهة والتبعية تميز العلاقات القائمة بين الفرنسيين والعرب، ففي جميع الحالات يكون العنصر العربي هو البادئ بالعدوان والمتسبب به، وذلك حتى عندما يكون في موقف الدفاع عن نفسه ومعتدى عليه، كما هو الشأن في الحروب الصليبية والاستعمار والحروب الإسرائيلية-العربية في الأعوام ١٩٤٨، ١٩٥٦، ١٩٦٧، أما الطرف الآخر-فرنسيا أو

^(٣٢) مارلين نصر، "صورة العرب والإسلام في الكتب المدرسية الفرنسية"، في كتاب: صورة الآخر: العربي ناظراً ومنظوراً إليه، تحرير الطاهر لبيب،

(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٩)، ص (٤٦٦ - ٤٦٨).

^(٣٣) المصدر نفسه، ص (٤٦٦ - ٤٦٨).

^(٣٤) المصدر نفسه، ص (٤٧١ - ٤٧٢).

إسرائيليا- فيقدم في معظم الحالات في موقع المدافع عن نفسه بصفته رادا لاستفزاز أو متدخلا لكي يمنع اعتداء محتما. وتنتهي هذه العلاقة التي تقوم على المجابهة والتبعية بهزيمة العرب وفشلهم وبانتصار الفرنسيين في جميع الحالات^(٣٥).

هناك طمس لهوية الفاعل العربي في السرد التاريخي لأحداث الفترات الثلاث الكبرى، الفتح العربي وانتشار الحضارة الإسلامية، والحروب الصليبية، وفترة الاستعمار وحرب الجزائر. فباستثناء اسم النبي محمد (صلعم) لا تذكر كتب التاريخ اسم أي شخصية من قادة الفتح العربي، كما لا ترد فيها أسماء الخلفاء والشخصيات السياسية العربية المهمة^(٣٦).

إن القوالب الراسخة المعادية للعرب في الكتب المدرسية، تحدد طبيعة العلاقات الحقيقية القائمة بين العرب والفرنسيين، والتي يمكن إيجازها بما يلي: وضع العرب دائما في مستوى أدنى ومركزهم أضعف (متسولون وفقراء) سواء كانوا في علاقة مع فرنسيين أو كانوا بمفردهم. أما الفرنسيون فهم متفوقون في أغلب الحالات ويشغلون مراكز قيادية. القلب الآخر هو الثنائي المتعارض، متفوق/ متدن، منتصر/ منهزم، أو فاعل عربي متلق/ مقابل فاعل فرنسي نشيط. أما الانتصارات الإسلامية أو العربية فهي إما أن تهمل ولا يرد لها أي ذكر (مثل صلاح الدين والحروب الصليبية)، ومعركة السويس، واما أن تحول إلى هزائم^(٣٧).

رابعا: صورة العرب والفلسطينيين في العقل الأمريكي

I. صورة العرب في عقول الأمريكيين

لا شك بأن التغطية غير الموضوعية التي تقوم بها وسائل الإعلام الأمريكية تؤدي إلى خلق صورة غير واقعية ومشوهة للعرب وقضاياهم في أذهان الكثيرين من الأمريكيين. إن اللاسامية الموجهة في الثلاثينات والأربعينات من قبل الجمهور الأمريكي ضد اليهود، أصبحت اليوم موجهة ضد العرب بالدرجة الأولى، هذا ما تؤكد استطلاعات الرأي العام الأمريكي بالفترة (١٩٣٩-١٩٨٥)^(٣٨).

^(٣٥) المصدر نفسه، ص (٤٧٣ - ٤٧٤).

^(٣٦) المصدر نفسه، ص ٤٧٧.

^(٣٧) المصدر نفسه، ص (٤٨٥ - ٤٨٦).

^(٣٨) ميخائيل سليمان، صورة العرب في عقول الأمريكيين، ترجمة عطا عبد الوهاب، ط ١ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٧)، ص (١٢١ - ١٢٢).

وفي الوقت الذي تغيرت فيه الصورة الأمريكية عن اليهود إلى الأحسن، فإن صورة العرب لدى الأمريكيين اعترافا بالتغيير إلى الأسوأ، هذا ما أكدته دراسة أجريت عام ١٩٧٥ عن العرب والإسرائيليين، أشارت نتائجها إلى أن العرب: متخلفون، وغير متطورين، جشعون، متكبرون، وبرابره^(٣٩).

وفي استقراء للرأي الأمريكي عام ١٩٨٠، وصف المجيبون العرب بأنهم: "برابرة، قساة، غدارون، ماكرون، يسيئون معاملة النساء، مولعون بالحروب، متعطشون للدماء، ضد المسيحيين، معادون للسامية، ويريدون تدمير دولة إسرائيل والقاء سكانها بالبحر". واطهر نفس الاستقراء أن الأمريكيين يحملون من الآراء السلبية عن العرب كفة عامة أكثر مما يحملونه عن أقطار أو شعوب عربية معينة^(٤٠).

وأكثر الصور شيوعا وانتشارا عن العرب في المجالات الأمريكية هي: عدم الوحدة، والبدانة، وعدم الأمانة، وعدم التعديل، والجبن، والإرهاب، وعدم الكفاءة^(٤١).

إن صورة العربي في الأفلام السينمائية التي تنتجها هوليوود هي: صورة البدوي، الذي قد يكون من البدو الرحل، يتسم بأنه فقير، تعليمه منخفض، يعيش مع حريم حيث لا توجد للنساء سوى حقوق قليلة، إن كانت لهن أي حقوق على الإطلاق. والعربي غير ديمقراطي، يعيش في حالة فساد سياسي، تحت سيطرة طغيان جماعة أو خاضعا لواجب الإخلاء لقبيلته^(٤٢).

لقد تعاملت سينما هوليوود مع العربي والمسلم على أنهما من الأشرار، وبالتالي فهما من الأعداء، وحاولت منذ البداية أن تسخر منهما وتلصق بهما مجموعة من الأحكام الجاهزة التي تؤدي إلى التنفير والاحتقار، باعتبارهما يمثلان الشر بجميع أشكاله^(٤٣).

^(٣٩) المصدر نفسه، ص (١٢٣ - ١٢٤).

^(٤٠) المصدر نفسه، ص (١٢٤ - ١٢٥).

^(٤١) ساري، صورة العرب في الصحافة البريطانية: دراسة اجتماعية للشباب والتغير في مجمل الصورة، ص ١٠٢.

^(٤٢) السيد ياسين، الشخصية العربية: بين صورة الذات ومفهوم الآخر، (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٨١)، ص ٨٧.

^(٤٣) تيسير أبو عرجة، الإعلام العربي: تحديات الحاضر والمستقبل، ط ١ (عمان: دار مجدي لاوي للنشر والتوزيع، ١٩٩٦)، ص ١١٥.

صورة العربي في عقول الأمريكيين غاية في السوء، وانه من المفيد ان اسرد هنا مجموعة من الأسباب ذكرها (د. ادمون غريب) والتي في رأيي يمكن اعتبارها مجتمعة سبب في بشاعة الصورة التي رسمت للعرب في أذهان الأمريكيين وهي^(٤٤):

- أ. الثقة شبه العمياء التي يعطيها الأمريكيون لأجهزة الإعلام.
- ب. الجهل والتحيز الثقافي الذي يعود لاسباب تاريخية وسياسية ودينية.
- ت. الجهل بتاريخ واصل الصراع العربي الإسرائيلي.
- ث. وسائل الإعلام الأمريكية التي تركز على الحدث المثير والبارز في دول العالم الثالث، دون إعطاء الخلفية التاريخية لهذا الصراع.
- ج. القوى الموالية لإسرائيل والمتغلغلة في الإعلام الأمريكي على أعلى المستويات والتي تتسم بالتنظيم وشدة التصميم.
- ح. فشل العرب في فهم وسائل الإعلام الأمريكية وكيفية التعامل معها.
- خ. الخلافات المستمرة بين الدول العربية التي تعطي صورة سلبية عن الوطن العربي.

إن الجالية العربية الأمريكية- ويقدر عددها الآن بأكثر من مليوني نسمة- قد عانت ولا تزال تعاني من أمور عدة بسبب التفكير القلبي السلبي بالعرب، وهكذا يجبر الأمريكيون العرب على الاستخزاء من أسلافهم ومن أوطانهم. لذا يتجنب البعض ذكر تراثه العربي وينسب نفسه إلى الطائفة الدينية التي ينتمي إليها. والأمريكيون العرب هم الجماعة الوحيدة التي يحس الأمريكيون أن بوسعهم مهاجمتهم والاستهزاء بهم من دون خوف أو أذى أو عقاب^(٤٥).

رغم الآراء السلبية عن العرب فانه يبدو أن الجمهور الأمريكي يدرك ما للتعاون مع كل من إسرائيل والأقطار العربية من أهمية للمصالح الأمريكية. ففي سؤال حول الموضوع في الخمسينيات رأت ما نسبته (٥٠-٧٠%) من الشعب الأمريكي أن من الأهمية بمكان للولايات المتحدة أن تتعاون تعاوناً وثيقاً مع إسرائيل والأقطار العربية. وكرر نفس السؤال عام ١٩٨٥ فكان الجواب: أن على الولايات المتحدة الأمريكية إن تحتفظ بعلاقات ودية مع الأقطار العربية (٨٦%)، ومع إسرائيل (٨٧%)^(٤٦).

^(٤٤) المصدر نفسه، ص (١١٣ - ١١٤).

^(٤٥) سليمان، صورة العرب في عقول الأمريكيين، ص ٢٠٢.

^(٤٦) المصدر نفسه، ص ١٢٥.

إذاً، فصورة العربي في عقول الأمريكيين هي صورة سيئة بل غاية في السوء، ولا شك بأن وسائل الإعلام تتحمل المسؤولية الكبرى عن خلق هذه الصورة، أو بالأحرى القائمين على هذه الوسائل. ورغم بؤس الصورة العربية في الأذهان إلا أن الجمهور الأمريكي يعي تماما مصالحه عند العرب، لهذا نراه يؤكد ويشجع التعاون مع الأقطار العربية.

II. فلسطين والفلسطينيين في العقل الأمريكي

هناك عدة عوامل ساهمت في تكوين صورة الفلسطينيين وتطورها في الولايات المتحدة الأمريكية، ويمكن تصنيف تلك العوامل إلى صنفين رئيسين: الأول يتعلق بعلاقات أوروبا بالفلسطينيين ومواقفهم نحوها، والتي انتقلت إلى أمريكا مع المستوطنين الأوروبيين، والثاني رسمه أعضاء طائفة المتطهرين (البيوريتانيين) بشأن تصورهم في الكشف عن خطة الله من اجل الجنس البشري، وهو تصور يهتم باليهود والأرض المقدسة ويتجاهل أية إشارة إلى الفلسطينيين أو أي اعتراف بهم (سواء كانوا مسيحيين أو مسلمين)^(٤٧).

لقد تغيرت الفكرة المسيحية الأوروبية السائدة في القرون الوسطى عن اليهود، ففي حين كان ينظر إلى فلسطين على أنها ارض مقدسة مسيحية لا بد من تحريرها من السيطرة الاسلامية، صار ينظر إليها الآن كموطن لليهود الذين كان ينتظر ارتدادهم إلى الديانة المسيحية قبل عودتهم إلى الأرض المقدسة، تنفيذاً للمخطط الإلهي. وبهذا اختزل تاريخ فلسطين إلى تاريخ الوجود اليهودي فيها. وبات ينظر إلى السكان الفلسطينيين كأنهم لا وجود لهم أو لا أهمية لهم أو على أنهم العصابات التي خربت ريف الأرض المقدسة بجهلها وتأخرها. ففلسطين ارض خالية "بلاد بلا أمة لامة بلا برد"، والفلسطينيين جزء من طبيعة المكان وهم شعب خامل غير جدير بالعطف أو المساعدة. وفي عام ١٩١٧ أنكر بلفور علنا وجود الشعب الفلسطيني مكتفياً بتسميتهم "الجاليات غير اليهودية القائمة" مع انهم كانوا يشكلون ٩٠% من السكان. لقد ورث الأمريكيون هذه الصورة عن الفلسطينيين والعرب المسلمين من أوروبا، ثم أضافوا إليها عناصر أمريكية بحتة بتأثير عوامل أمريكية بالذات، ومنها التأكيد على الكتاب المقدس بصفته الرواية الحرفية لما جرى في الشرق الأوسط^(٤٨).

^(٤٧) ميخائيل سليمان، "فلسطين والفلسطينيين في العقل الأمريكي"، المستقبل العربي، العدد ٢٠٤ (كانون ثاني ١٩٩٦)، ص ٦١.

^(٤٨) المصدر نفسه، ص (٦٢ - ٦٣).

إن الجماعة الأصولية المؤمنة بالألفية تجاهلت كلياً العرب الفلسطينيين وتصرفت وكأنهم غير موجودين، وقد رأت فيهم عقبة بوجه تنفيذ مخطط الله من أجل الإنسانية، ولم تتغير آراء هذه الجماعة قط، وهي مستمرة في عدوانها للعرب والمسلمين عموماً، وللفلسطينيين خصوصاً. كما كان للرحالة الأمريكيين في الشرق الأوسط في القرن التاسع عشر، إسهامات في التوجه الأمريكي نحو فلسطين والفلسطينيين والعلاقة معهما، فقد رأى هؤلاء أن الهنود الحمر والعرب الفلسطينيون، كسالي وغير متحضرين ومتخلفين ودونيين، وكان الفلسطينيون والهنود الحمر متشابهين في إمكانية اطراحهم وسقوطهم في نهاية المطاف، وهذا افتراض من شأنه تيسير الأمور، إذ أنه سيسهل استبدال شعب "أهم" بهم، شعب يؤدي رسالة عظيمة ان لم تكن سماوية^(٤٩).

لقد اتجه المعلمون في النظر إلى الفلسطينيين كلاجئين في حين نظر إليهم الطلاب كرجال عصابات. فالصورة عن الفلسطينيين هي انهم "لاجئين وإرهابيين"، وتظهر معاداة وكرهية الطلاب والمعلمين للفلسطينيين في ملاحظاتهم وهي: جناء، ثوار يساريون وقطاع طرق شيوعيون، متطرفون، مثيرو اضطرابات، يسببون المتاعب للولايات المتحدة، أشرار، متعصبون، قساة، حمقى، مجانيين، مغتابون. فالفلسطينيون بالنسبة لهؤلاء المعلمين والطلاب هم لاجئين أو شعب مشرد يستخدم وسائل عنيفة انتقاماً أو من أجل استرداد وطنه^(٥٠).

إذاً، فصورة الفلسطينيين في العقل الأمريكي لم تختلف كثيراً عن صورة العربي في العقل الأوروبي، ولا غرابة في ذلك سيما وقد عرفنا ان الصورة عن الفلسطينيين هي أصلاً موروثة عن الأوروبيين مع إضافة عناصر أمريكية بحتة.

III. صورة الوطن العربي في الكتب المدرسية الأمريكية

تشكل الكتب المدرسية أداة أساسية للتعليم الرسمي في جميع مراحل التعليم في الولايات المتحدة الأمريكية، وتعد الكتب المدرسية مصدراً أولياً يستمد منه الطالب مواقفه واتجاهاته إزاء كثير من الجماعات العرقية المختلفة. فالكتب المدرسية تزود التلاميذ بما يحتاجونه من معلومات عن التاريخ وحضارات العالم الذي يعيشون فيه، وان التعليم في المدارس له تأثيره الدائم، لذا يمكن إرجاع المواقف التي يتخذها الكبار تجاه جماعات معينة إلى التجارب التربوية الأولى، وما ينشأ

^(٤٩) المصدر نفسه، ص (٦٥ - ٦٦).

^(٥٠) سليمان، صورة العرب في عقول الأمريكيين، ص ١١١.

عنها من صور مشوهة وسلبية عن الشعوب الأجنبية التي تم الحديث عنها من خلال الحذف أو التحريف والتزوير.

هناك عدة دراسات حول تناول الكتب المدرسية لموضوع الوطن العربي وسوف أعرض لأهمها سيما وأن الكثير منها توصل إلى نفس النتائج:

أ. دراسة جمعية دراسات الشرق الأوسط عام ١٩٧٢، وشملت دراسة ٨٠ كتابا مدرسيا للمرحلة الثانوية، وجاءت نتائج الدراسة كما يلي^(٥١):

١. المغالاة في تأكيد صورة البدو بالصور الفوتوغرافية في اغلب الأحيان لتثبيت هذا النمط.

٢. عند مناقشة عناصر الصحراء يؤكد المؤلفون منجزات إسرائيل في تغيير الصحراء مع تجاهل منجزات العرب.

٣. المزارعون فقراء، والمدن تزخر بالعاطلين عن العمل، هناك القليل من أصحاب الملايين وهؤلاء يركبون سيارات فارهة. أما عن مشاكل الشرق الأوسط الاقتصادية فلا يمكن حلها إلا عن طريق ربطة بالكامل بعجلة الغرب.

٤. معالجة الإسلام بطريقة مبتسرة. وإغفال اتصاله بالديانتين السابقتين مع إبراز غرابة بعض الممارسات الإسلامية.

٥. إن صعوبات الولايات المتحدة بالشرق الأوسط مردها هو: الطابع السلبي للقومية العربية، ونفوذ الاتحاد السوفيتي، وعداء العرب لإسرائيل.

٦. تصوير إسرائيل على أنها الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط، مع عرض الحروب العربية الإسرائيلية الأربعة من وجهة نظر إسرائيلية وتجاهل المنظور العربي.

ب. دراسة القزاز، عفيفي وشباص، وشملت دراسة ٢٤ كتابا مدرسيا في المدارس الابتدائية والثانوية، وقد أكدت الدراسة على ما جاءت به الدراسة السابقة مع إضافة بعض النقاط منها^(٥٢):

١. التأكيد على النزعة العسكرية، وعلى عادات مثل تعدد الزوجات واعطاء قدر ضئيل من الاهتمام لإسهامات الإسلام في الحضارة الغربية.

^(٥١) اياد القزاز، "صورة العربي في المدارس الثانوية الأمريكية"، المستقبل العربي، العدد ٢٦ (نيسان ١٩٨١)، ص (٢٦ - ٢٧).

^(٥٢) المصدر نفسه، ص (٢٩ - ٣٠٩).

٢. تصوير المرأة بأنها محجبة، مركزها متدني، حقوقها ضئيلة، لا سلطة لها وتطيع زوجها في كل شيء رغم أنها وهي غير متعلمة.
٣. تصوير غالبية الشعب على أنه يعيش في أحياء قذرة. وتصوير القرى والمدن على أنها مليئة بملايين الذباب، والمجاري تنتهي إلى حفر مكشوفة تلوث الأرض ومرافق الحياة.
٤. تصوير العرب بأنهم متخلفون، بعكس إسرائيل الحديثة.

- ج. دراسة جرار لـ ٤٣ نصا في الثمانينات، وهي الدراسة الأكثر منهجية في تناولها لصورة العرب في المدارس الثانوية وأهم نتائجها^(٥٣):
١. معظم الكتب تتضمن ألفاظا يجري تبادلها الواحد محل الآخر بطريقة غير صحيحة مثل: العرب والإسلام أو الشرق الأوسط والوطن العربي.
 ٢. التأكيد على البدو مما يؤدي إلى انطباع بأن الوطن العربي متخلف وبدائي.
 ٣. إن مناقشة الصراع العربي الإسرائيلي تعرض لجانب واحد، ومعظم النصوص تقتصر إلى معلومات عن التغيير وعن التطورات الجديدة التي تحدث في الوطن العربي.

في استفتاء للرأي أجري على بعض تلاميذ المدارس الأمريكية عام ١٩٧٤، أتضح أنهم يكونون مشاعر قوية معادية للعرب كما عبروا عنها في الإجابات التالية: أثرياء نפט، تجار حروب يتكالبون على السلطة، مستغلون للنفط وبدائيون، جبناء، دونيون، محتالون، قذرون، أغبياء، أو برابرة غير متمدنين. والعرب بالنسبة إلى بعض التلاميذ "رحل مغفلون يحملون الخيام على ظهورهم"، في حين نظر إليهم آخرون وكأنهم "دبيب يقتل اليهود ويمنع النفط"^(٥٤).

هكذا نرى بأن تغطية الكتب المدرسية للوطن العربي تغطية قاصرة وغير دقيقة، وسلبية في معظمها، وأن ارتفاع نسبة الأخطاء والحذف والمقولات المتحيزة تزود القارئ بصورة مشوهة عن الوطن العربي.

^(٥٣) المصدر نفسه، ص ٣٢.

^(٥٤) سليمان، صورة العرب في عقول الأمريكيين، ص ١٠٨، ١١٢.

الفصل الرابع: العلاقة بين الوطن العربي والغرب

أولاً: الحوار العربي - الأوروبي

I. أسباب الحوار

لقد بدأ مفهوم الحوار على مستوى العلاقات الرسمية وشبه الرسمية بالظهور في بداية السبعينات، إثر حدثين أسهما في ولادة فكرة الحوار العربي الأوروبي، الأول: هو حرب رمضان في أكتوبر ١٩٧٣، والثاني: هو قرار وزراء النفط العرب في نفس الشهر بحظر النفط عن أمريكا وهولندا وخفض إنتاجه. الأمر الذي دفع أوروبا إلى ضرورة مباشرة الحوار مع العرب، فأصدرت المجموعة الأوروبية يوم السادس من نوفمبر ١٩٧٣ "تصريح بروكسل" الذي دعت فيه الدول العربية للحوار والذي اعتبر إيدان بالحوار، وقد تجاوب مؤتمر القمة العربي السادس المنعقد بالجزائر في نوفمبر ١٩٧٣ مع الدعوة، وبدأت المباحثات بين الأوروبيين والعرب فعلاً عام ١٩٧٥ في ثلاث اجتماعات عقدت في القاهرة وروما وأبو ظبي^(١).

هناك عوامل أخرى دفعت نحو الحوار العربي الأوروبي ومنها: أهمية المنطقة العربية بصفتها سوقاً للصادرات الأوروبية، إضافة لوجود خطط التنمية المتلاحقة التي تنفذها الأقطار العربية النفطية. أي أن هناك مصالح مشتركة لكلا الطرفين، وهنا تتجلى نظرية المصالح في العلاقات الدولية^(٢).

لقد أدرك العرب أن دول أوروبا هي مركز التمويل العاجل لدعم إسرائيل عسكرياً واقتصادياً، كما أن الموقف الأمريكي المؤيد لإسرائيل خلال الحرب، وتردد وعدم وضوح الدور السوفييتي، دفع بالعرب للبحث عن طرف مساند لقضاياهم. أما بالنسبة لأوروبا، فإن الصراع في الشرق الأوسط يشكل بعداً استراتيجياً وعاملاً مؤثراً على أمنها لقربها من المكان، إضافة لكونه يشكل تهديداً حقيقياً لمصالحها المتمثلة باستيراد النفط من الدول العربية المنتجة له، ففي فترة السبعينات كانت أوروبا تستورد ٣٦% من مصادر الطاقة من العالم العربي^(٣).

^(١) يوسف الحسن، الحوار الإسلامي المسيحي، الفرص والتحديات، ط ١ (أبو ظبي: الجمع الثقافي، ١٩٩٧)، ص ٢١.

^(٢) جمال الشليبي، العرب وأوروبا: رؤية سياسية معاصرة، ط ١ (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٠)، ص (٨١-٨٢).

^(٣) المصدر نفسه، ص (٨٠-٨١).

II. أهداف الحوار

إن للحوار العربي الأوروبي أهداف مختلفة يمكن النظر إليها من خلال ثلاث دوائر هي: الدائرة السياسية المتمثلة بمساندة دولية في نطاق العلاقات الدولية، والدائرة الاقتصادية المتمثلة بالمقايضة الاقتصادية بين الطرفين، والدائرة الثقافية والحضارية وتتمثل في نقل التكنولوجيا والبحث عن مشتركات تاريخية بين العرب وأوروبا^(٤).

لقد كانت أولى الاجتماعات الأوروبية - العربية في القاهرة بالفترة من (١٠-١٤) حزيران ١٩٧٥، وقد حدد الاجتماع أهداف الحوار والمبادئ التي ستوجه ميادين التعاون التي سيضمها، وجاء في بيان الاجتماع: "يهدف الحوار إلى إقامة علاقات خاصة بين المجموعتين، استناداً إلى علاقات الجوار والإرث الثقافي المشترك، وإلى المصالح المتكاملة والمتقاربة، كما يهدف إلى إقامة تعاون قادر على خلق الشروط الأساسية لتنمية العالم العربي بمجمله، وعلى تقليص الهوة الثقافية التي تفصل البلدان العربية عن البلدان الأوروبية، مما سيساهم في تشجيع الاستقرار والأمن والسلام العادل في المنطقة العربية^(٥).

ومع أن الحوار العربي الأوروبي واحد، إلا أن لكل طرف أهدافه المختلفة. ففي الوقت الذي نجد فيه أن هدف الأوروبيين يكمن في الابتعاد عن سيطرة القوى الكبرى، وخلق أوروبا كقوة كبرى وطرد القوتين العظميين من حوض المتوسط، مع ضمان الإمدادات النفطية والاستقرار السياسي والأمني في الشرق الأوسط، والحفاظ على المصالح التجارية مع العالم العربي. في المقابل نجد الطرف العربي له أهداف مختلفة نوعاً ما، فهم يهدفون إلى تحقيق السلم والاستقرار في المنطقة من خلال قيام أوروبا بدور فاعل في دفع مسار التسوية السلمية من خلال الضغط على إسرائيل والولايات المتحدة لاتخاذ مواقف متوازنة، كما يهدفون إلى نقل التكنولوجيا الأوروبية المتقدمة إلى الدول العربية، وجلب الاستثمارات الأوروبية للمنطقة العربية للحصول على المساعدات الأوروبية^(٦).

(٤) المصدر نفسه، ص ٨٥.

(٥) بشارة حضر، أوروبا والوطن العربي: القرابة والجوار، ترجمة جوزيف عبد الله، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٣)، ص ٩٨.

(٦) الشلبي، العرب وأوروبا: رؤية سياسية معاصرة، ص (٨٦-٨٧).

إن تركيز الجانب العربي على الباب السياسي يستجيب في الحقيقة إلى هدفين: مساعدة الشعب الفلسطيني على استرجاع حقوقه، والحفاظ على استقرار المنطقة. وهكذا يكون الباب السياسي وثيق الصلة بالباب الاقتصادي^(٧).

III. جوانب الحوار

يوجد للحوار العربي الأوروبي ثلاث جوانب رئيسية: الأول هو الجانب السياسي، والثاني جانب العلاقات الاقتصادية والفنية والثالث هو الجانب الثقافي.

أ- الجانب السياسي:

لقد بقي الجانب السياسي بالحوار يتسم بالتجاهل من قبل الأوروبيين على مدى الاجتماعات الأربعة الأولى للجنة العامة، ولم يتمتع الحوار بنقل نسبي أكثر عمقاً إلا في أواخر عام ١٩٨٠، حيث أصبحت الجماعة الأوروبية موافقة ضمناً على أن الحوار يشكل إطاراً للمناقشات السياسية^(٨).

أهم القضايا السياسية في الحوار تتمثل في الصراع العربي الإسرائيلي، والقضية الفلسطينية، وفي كل ما يتعلق بها من عناصر: كالموقف من حقوق الشعب الفلسطيني، والموقف من منظمة التحرير الفلسطينية، ووسائل تحقيق السلام، والدور الأوروبي في التسوية. فالعرب يعتقدون أن على أوروبا المساهمة في إنهاء الصراع العربي الإسرائيلي، للنهوض بمسئوليتها الدولية، وتصحيحاً للأخطاء السياسية الأوروبية الاستعمارية التي كانت سبباً في معاناة العرب عموماً، والشعب الفلسطيني خصوصاً^(٩).

إن الدور الأوروبي كما يتصوره الجانب العربي يجمل بما يلي:^(١٠)

١. أن تتخذ أوروبا موقفاً منصفاً إزاء قضية العرب العادلة، بانسحاب إسرائيل من جميع الأراضي المحتلة، واستعادة الشعب الفلسطيني لحقوقه المشروعة.
٢. وقف المساعدات العسكرية والاقتصادية لإسرائيل.
٣. القيام بالضغط على الولايات المتحدة الأمريكية لتكف عن مساعدة إسرائيل.

^(٧) خضر، أوروبا والوطن العربي: القرابة والحوار، ص ٩٥.

^(٨) الشلي، العرب وأوروبا: رؤية سياسية معاصرة، ص (٨٨-٨٩).

^(٩) المصدر نفسه، ص ٩٠.

^(١٠) المصدر نفسه، ص (٩٠-٩١).

٤. اتخاذ مواقف في المنظمات الدولية تدعو إلى ضرورة إنهاء الاحتلال الإسرائيلي، وممارسة الشعب الفلسطيني لحقوقه.
٥. المبادرة للاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كمثل وحيد للشعب الفلسطيني.
٦. اتباع سياسة إعلامية منصفة تجاه القضايا العربية.

لقد بلور "بيان البندقية" عام ١٩٨٠، الموقف الأوروبي من قضية الصراع في الشرق الأوسط، حيث أكدت الدول الأوروبية فيه أن عليها أن تعمل بصورة ملموسة لصالح السلام، وأن على المجموعة الدولية الاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني. كما أعلنوا استعدادهم للمشاركة في إطار حل شامل، كما أكدوا رفضهم لأي مبادرة تهدف إلى تغيير وضع القدس. مؤكداً ان مستعمرات الاستيطان الإسرائيلية تمثل عقبة خطيرة أمام مسيرة السلام في الشرق الأوسط^(١١). لهذا تم اعتبار هذا الإعلان أرقى حالة وصلتها المقاربة الأوروبية للنزاع الإسرائيلي-العربي، حيث جاء في النقطة السادسة من الإعلان ما يلي: "يجب أخيراً إيجاد حل عادل للقضية الفلسطينية التي ليست مجرد قضية لاجئين. يجب إتاحة المجال للشعب الفلسطيني الذي يعي نفسه على هذا الأساس، ليمارس بكل حرية حقه في تقرير المصير، بعملية ملأمة محددة في إطار التسوية السلمية الشاملة"^(١٢).

إن الجانبين العربي والأوروبي كان لديهما جدول عمل مختلف بخصوص الحوار، فمن الجانب العربي كان الغرب يعني تحقيق أهداف سياسية بينما من الجانب الأوروبي كان العرب يعنون تحقيق أهداف اقتصادية، وكانوا مصممين للحصول على امتيازات في تعاملهم مع الجانب العربي، متناسين بأن السياسة لا تتفصل عن الاقتصاد^(١٣).

ب- الجانب الاقتصادي والفني:

لقد اعتبر الأوروبيين منذ البداية ان الجانب الاقتصادي هو الأكثر أهمية بالنسبة لهم، لذا فقد شكلت عدة لجان لدراسة هذا البعد وهي: لجنة التعاون التجاري، ولجنة التعاون المالي، ولجنة التصنيع، ثم لجان الزراعة والتنمية الريفية^(١٤).

^(١١) المصدر نفسه، ص (٩٢-٩٣).

^(١٢) خضر، أوروبا والوطن العربي: القرابة والحوار، ص ١٠٣.

^(١٣) أسامة الباز، الحوار السياسي العربي - الأوروبي، في كتاب: العلاقات العربية الأوروبية: حاضرها ومستقبلها، أعمال المؤتمر الدولي الخامس حول العلاقات العربية - الأوروبية، ط ١ (باريس: مركز الدراسات العربي - الأوروبي، ١٩٩٧)، ص ٥٩.

^(١٤) الشلي، العرب وأوروبا: رؤية سياسية معاصرة، ص ٩٤.

في الجانب التجاري، كان موقف الطرف العربي هو ان هدف التعاون التجاري التبادل التجاري بوصفه وسيلة أساسية من وسائل التنمية، في حين كان الموقف الأوروبي يرى أن دعم العلاقات التجارية بين الطرفين يتم من خلال زيادة المعاملات التجارية بين الطرفين. أما بخصوص التعاون الصناعي، فقد اتفق على دراسة الأولويات العربية بهدف بيان الاحتياجات والطاقات الإنتاجية في الأسواق العربية والأوروبية والعالمية. فيما يتعلق بالجوانب الفنية للحوار، قدمت بعض المشاريع لإنشاء معاهد هندسية، كما بحثت موضوعات تتعلق بتدريب وإعداد كوادر، وإنشاء نظم ومراكز للمعلومات. وأخيراً بالنسبة للزراعة والتنمية الريفية، أقيم عدد من المشاريع المشتركة في عدد من الدول العربية، وبدأ الاتجاه من قبل الجانبين لتدعيم التعاون في مجال الإنتاج الغذائي^(١٥).

تحتل الطاقة حصة الأسد في الصادرات العربية لأوروبا، فالعالم العربي تابع أو خاضع للتكنولوجيا والتجهيزات والخدمات الموجودة في العالم الصناعي، وفيما عدا النفط والغاز فإن اقتصادياته تعاني من عجز مزمن تجاه الاتحاد الأوروبي. وعليه فإن مفهوم الترابط أو الاعتماد المتبادل ليس ملائماً لوصف العلاقات التجارية بين الاتحاد الأوروبي والوطن العربي^(١٦).

شكلت قضية النفط الدافع الأهم للبدء بالحوار بين الطرفين، الا أنها غابت عن الحوار لأن هذا الموضوع لم يعد الموضوع الأساسي في الحوار من وجهة النظر الأوروبية لعدة أسباب منها:^(١٧)

١. إن النفط لا يهم فقط أوروبا والعالم العربي، وان مشكلاته يمكن أن تناقش في مجال أوسع.

٢. مبادرة الولايات المتحدة الأمريكية لإنشاء الوكالة الدولية للطاقة عام ١٩٧٤.

٣. لم يعد مهماً عمل اتفاق شامل بين الطرفين، في ظل ضمان الولايات المتحدة الأمريكية لإمدادات النفط لدول أوروبا.

ورغم كل هذا فإن الأوروبيين قلقين لأن اعتمادهم على النفط الخليجي سيزداد، في مطلع التسعينات، في الوقت الذي سيتناقص اعتماد الولايات المتحدة عليه، مما قد يستدعي اهتماماً خاصاً بالتطورات العربية، وتحديدًا الخليجية^(١٨).

^(١٥) المصدر نفسه، ص (٩٤-٩٥).

^(١٦) بشارة خضر، "الحوار الاقتصادي العربي - الأوروبي"، في كتاب: العلاقات العربية الأوروبية: حاضرها ومستقبلها، أعمال المؤتمر الدولي الخامس

حول العلاقات العربية-الأوروبية، ط (باريس: مركز الدراسات العربي-الأوروبي ١٩٩٧)، ص ٦٣.

^(١٧) الشليبي، العربي وأوروبا: رؤية سياسية معاصرة، ص ٩٦.

^(١٨) ناصيف حني، القوى الخمس الكبرى والوطن العربي: دراسة مستقبلية، ط ١ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٨٧)، ص (١٤٤-١٤٥)

ج- الجانب الثقافي:

إن الحوار العربي - الأوروبي اكتسب إطاراً مؤسسياً لأول مرة عام ١٩٧٣ في كوبنهاغن، إلا أن الحوار الثقافي هو أقدم بكثير وعمره ثلاثة عشر قرناً، وأن نظرة فاحصة للمنطقة العربية ومنطقة المتوسط، تجعلنا ندرك العمق التاريخي لهذا الاتصال الثقافي. إن مفهوم كلمة أوروبا بالرجوع للقواميس يعني "أميرة فينيقية أو لبنانية"، والدين السائد في أوروبا هو الدين المسيحي، ومؤسس هذا الدين عربي ولد في بيت لحم وهو من أهل بيت لحم^(١٩).

تضمن الشق الثالث من إعلان برشلونة (١٩٩٥) عدداً من المبادئ الأساسية تعهد بها أطراف الشراكة الأوروبية في المجالات الثقافية والاجتماعية من بينها تشجيع الحوار بين الأديان والثقافات لتنمية روح التسامح والتفهم المتبادل وتشجيع التفاعل بين هيئات المجتمع المدني^(٢٠).

لقد شدد العرب مراراً على الجانب الثقافي في علاقاتهم مع أوروبا. وطلبوا أثناء شتى اجتماعاتهم أن تعمل أوروبا على إظهار المساهمة العربية في الحضارة الأوروبية، وأن تشجيع تعلم اللغة العربية، وأن تكافح العنصرية التي تنمو، وأن تحصي المؤسسات العاملة على تشجيع الثقافة العربية في أوروبا، إلا أن هذه المطالب بقيت حبراً على ورق، الأمر الذي يجعل الميدان الثقافي يعاني حالة تفاوت صارخ تتصاعد، بل تزداد حدة^(٢١).

في الوطن العربي، هناك أجيال من المتقنين ورجال العلم ممن تم إعدادهم في الجامعات الأوروبية، يقومون بدور بديهي في التقارب الثقافي مع أوروبا. واللغات الأوروبية يجري تدريسها بشكل واسع في المدارس والجامعات العربية. وتستمد أجهزة الصحافة القسم الأكبر من أخبارها من الوكالات الأوروبية والأمريكية. بالمقابل ماذا نرى في الجانب الأوروبي؟ نرى رأياً عاماً معادياً بغالبه للوطن العربي، ويلاحظ أن البرامج المدرسية والجامعية تكاد لا تذكر المسائل العربية والإسلامية. ونرى العمال العرب المهاجرين مهمشين ثقافياً، وثمة "عنصرية شعبية" ترعاها بعض الصحف، بل بعض الأحزاب السياسية أيضاً^(٢٢).

(19) نادر محمد عزيزة، "الحوار الثقافي والحضاري العربي - الأوروبي، في كتاب: العلاقات العربية الأوروبية: حاضرها ومستقبلها، أعمال المؤتمر الدولي

الخامس حول العلاقات العربية - الأوروبية، ط١ (باريس: مركز الدراسات العربي-الأوروبي، ١٩٩٧)، ص (٨٣-٨٤).

(20) سامح غالي، "خطوة جديدة في مسيرة الشراكة الأوروبية المتوسطية: مؤتمر فاليتا"، السياسة الدولية، العدد (تموز ١٩٩٧)، ص ١٦٧.

(21) خضر، أوروبا والوطن العربي: القرابة والحوار، ص ١٢٠

(22) المصدر نفسه، ص ١٢٠

إن مساهمة الحوار الأوروبي العربي في التقارب بين الثقافتين هو شبه معدوم. وعلى العرب تحمل نصيبهم من المسؤولية، فالمطلوب من الطرفين هو بلورة "إرادة سياسية" تستند إلى ممارسة ثقافية محددة بشكل حاسم، بحيث يكون الهدف النهائي لهذه الساسة المساهمة في تغيير التصورات الجماعية لكلا الطرفين: والمساهمة في أن تخضع للنقد المقبولات والأفكار عن الذات والآخر، والتصرفات التي تميل إلى جعل خلافات المصالح علاقات حقد واحتقار^(٢٣).

ثانياً: الحوار العربي - الأوروبي (خلاصة)

من غير المستبعد أن يبقى الحوار قائماً، بشكل منقطع وغير دوري، بخاصة على المستوى السياسي، بحيث تصبح الاتصالات السياسية ذات أهمية رمزية ودون أي جدوى فعلية فيما يتعلق بالتأثير في الموقف السياسي. ومن غير المتوقع أن تلقى المطالب العربية الجماعية، سواء فيما يتعلق بإحداث تغيير في الموقف الأوروبي حيال دبلوماسية النزاع العربي-الإسرائيلي، أو في أي قضية أخرى، قد يكون عليها إجماع عربي، أي تجاوب أوروبي، فعدم التجاوب مع المطالب العربية، لن تكون له أية تكلفة أوروبية، بسبب تبعثر الإمكانيات العربية، وغياب التنسيق العربي، مما لا يدفع الأوروبيين في أي حال إلى اتخاذ مواقف مسابرة للعرب.

أحد الصعوبات التي تعيق إحراز تقدم في حوار أوروبا مع المسلمين بعامة والعرب بخاصة، على المستوى الرسمي وشبه الرسمي والأهلي، النظرة التجزئية في الفهم الأوروبي للعالمين الإسلامي والعربي ولمصالحهما العليا. وتقوم هذه النظرة على التجزئة المضعفة للقدرات الإسلامية والعربية، حيث ترى في الشمال الإفريقي المسلم تهديداً ديموغرافياً، وفي دول الخليج العربي تهديداً اقتصادياً، وفي الإسلام عنفاً وإرهاباً^(٢٤).

تقترب أوروبا من الوطن العربي عندما يكون متغير الطاقة في ذروة تأثيره، وتبتعد عنه عندما ينخفض سعر برميل النفط، أو عندما يغير الوطن العربي مظهره^(٢٥).

(23) المصدر نفسه، من (١٢٠-١٢١).

(24) الحسن، الحوار الإسلامي المسيحي: الفرص والتحديات، ص ٥٩.

(25) حضر، أوروبا والوطن العربي: القرابة والحوار، ص ١١٥.

إن استمرار غياب الإدارة العربية لإحداث "ربط" فعلي بين المواقف الأوروبية تجاه القضايا العربية والمصالح الأوروبية عند العرب، وإدراك أوروبا لهذا الواقع يفقدان الطرف العربي إي ورقة للتأثير. وهذا ما سيدفع أوروبا لاتباع سياسة التلافي والتأجيل، وهي سياسة مارستها في الماضي، وتستطيع أن تمارسها بشكل أسهل اليوم. وتقوم هذه السياسة على تلافي "الحوار في شؤون السياسة العليا" التي تهم الطرف العربي، ومحاولة التركيز قدر الإمكان على الحوار في الأمور الأخرى، كشؤون التنمية والأمور الفنية والتعاون المشترك⁽²⁶⁾.

ستبقى الدول الأوروبية محافظة على علاقات سياسية تعاونية مع البلدان العربية، بأدنى ثمن سياسي ممكن أن تقدمه للقضايا العربية المشتركة، في حين سيبقى الطرف العربي يهدد بربط الاقتصاد بالسياسة. وستبقى الجماعة العربية مستمرة في قدرتها على إبقاء فك الارتباط قائماً بين السياسة والاقتصاد، فالعلاقات الاقتصادية تتطور بمعزل عن تطور الموقف السياسي الأوروبي الذي يشهد تراجعاً مستمراً، منذ بضع سنوات، تجاه القضايا العربية، وإن استمرار هذه الاتجاهات ينذر بإحداث أقصى درجات الاختلال في التوازن في العلاقات الأوروبية - العربية.

(26) حنّ، القوى الخمس الكبرى والوطن العربي : دراسة مستقبلية، ص ١٥٤.

الخاتمة

إن الذات العربية المتضخمة والمجزأة، والافتقار إلى النظرة العلمية الموضوعية في تقييم الأمور، هي التي أوصلت العالم العربي إلى ما هو عليه الآن من ضعف وتفكك وهوان وقلة حيله. ورغم أن الحضارة الغربية تفرض نفسها كنموذج قيمي للمجتمعات الأخرى، إلا أن العرب كأفراد متمسكين بالقيم العربية والإسلامية الراسخة وغير منبهرين بالحضارة الغربية، إلا أنهم غير مقاطعين لها تماما.

إن المجتمع العربي الذي فقد قوته ومناعته واهتزت ثقافته فانكشفت دفاعا عن الذات، أصبح الآخر بالنسبة له عدوا مهددا له ولوجوده، ولا غرابة فالمسلمون مقتنعون بأن الدين عند الله الإسلام، وان على الآخرين التسليم بهذه الحقيقة إن لم يكن بالعنف فبالنقاوض والتساكن. وهذا الشباب التونسي يعطي للعربية السعودية وفلسطين الأولويات الأولى والثانية للتفضيل، في حين نرى الدول الغربية كالولايات المتحدة وكندا في آخر سلم أفضليات هؤلاء الشباب.

إن للصورة النمطية المسيحية عن الإسلام ثلاثة أبعاد، الأول: هو أن الإسلام دين وثني وان نبوة محمد مشكوك في صحتها، والثاني: هو أن الإسلام دين العنف والحرب والقتال، والثالث: هو تشويه صورة النبي محمد من خلال علاقاته بالنساء وموقفه من المسألة الجنسية. أما صورة العربي في أذهان الغربيين فمرتبطة: بالخيمة، والصحراء، والبداءة، والأصولية، والإرهاب، والتطرف، والتخلف، والعنف، والبترو دولار، والحجاب، والتسول، والفقر، والجبن، والشر، والتعصب، والقسوة، والحماقية، والجنون، والغيبه. كما أن مدنهم قذرة، يعيشون في بيوت الصفيح، والاهم انهم يكتنون العداوة للغرب.

كانت بداية الحوار العربي-الأوروبي، بعد قرار وزراء النفط العرب بحظر النفط عن أمريكا وهولندا، وعليه فالحوار لم ينجح لا عن محبة ولا عن إعجاب، بل نتج عن مصالح مشتركة لكلا الطرفين، الأوروبيون يريدون النفط والعرب يريدون بيعه لهم كما يريدون الضغط على أوروبا من خلاله لصالح وقفه أوروبية تجاه القضية الفلسطينية خاصة والقضايا العربية بشكل عام. إذا، فالحوار لا يعني تغيير في نظرة كل من الطرفين للآخر، فكل طرف يحتفظ بنظرة الطرف الآخر، وما يجمعهم على مائدة الحوار هو نظرية المصالح في العلاقات الدولية. لذا لم يقطع الجانب السياسي والثقافي شوطا كبيرا كالذي قطعه الجانب الاقتصادي، وان استمرار الواقع العربي

المجزأ، وأدراك أوروبا لهذا الواقع، يفقدان العرب أي فرصة للتأثير على أوروبا. ورغم ما يظهره الأوروبيون من تحسن في نظرتهم، وتعاطفهم مع القضية الفلسطينية، غير أن مشاعرهم في حقيقة الأمر هي قلبا وقالبا مع اليهود ومصالحهم.

إذا كانت هذه هي صورة العلاقة بين الوطن العربي وأوروبا، فإن الصورة لا تختلف كثيرا عنها بين الوطن العربي وأمريكا. فإن لم تكن الصورة مطابقة تماما فإنها تشبهها إلى حد كبير، ولا غرابة في الأمر إذا عرفنا بان صورة العرب في مخيلة الأمريكيين تكونت أصلا على أيدي أوروبية، ولكن الأمريكيين اخذوا من الأوروبيين تلك الصورة البشعة، وأضافوا إليها عوامل ذاتية أمريكية زادت قبحا وبشاعة. ربما تختلف مواقف الحكومات الأوروبية قليلاً عن مواقف شعوبها تجاه العرب، إلا أن الحكومة والشعب الأمريكي يقفون صفا واحدا معاديا للعرب وقضاياهم وعلى رأسها القضية الفلسطينية، وان مواقفهم المخزية- المؤيدة والداعمة لليهود والمعادية للفلسطينيين- والتي يجاهرون بها لأكبر دليل على صحة ما أقول.

ان شكل وطبيعة العلاقة بين الوطن العربي والغرب لا يحدده الطرفان على قدم المساواة، فالغرب قوي ويفرض شكل العلاقة في حين أن العالم العربي ضعيف ومجزأ، وبالتالي فإن الطرفان لا يقفان على قدم المساواة في هذه العلاقة. وعليه فإن الصورة المرسومة في أذهان الغربيين عن العرب تؤثر في طبيعة وشكل علاقتهم بهم. في حين ان صورة الغرب في أذهان العرب لا يؤثر في شكل العلاقة لضعف العرب ولقلة حيلتهم. ولكن من يدري لو قدر للعرب أن يققزوا فوق مشاكلهم وجراحهم ويتوحدوا، لربما حينها أمكن للصورة التي رسموها في أذهانهم عن الغرب الكاره لهم ولقضاياهم أن تؤثر في طبيعة وشكل العلاقة معه.

قائمة المراجع

- ١) أبو عرجة، تيسير، الإعلام العربي: تحديات الحاضر والمستقبل، ط ١ (عمان: دار مجدي لاوي للنشر والتوزيع، ١٩٩٦).
- ٢) آفاية، محمد، الغرب المتخيل: صور الآخر في الفكر العربي الإسلامي الوسيط، ط ١ (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠).
- ٣) الباز، اسامة، "الحوار السياسي العربي - الأوروبي"، في كتاب: العلاقات العربية الأوروبية: حاضرها ومستقبلها، ط ١ (باريس: مركز الدراسات العربي - الأوروبي، ١٩٩٧).
- ٤) باتشي، أنزو، "الكنيسة الكاثوليكية والإسلام"، في كتاب صورة الآخر: العربي ناظراً ومنظوراً إليه، تحرير الطاهر لبيب، ط ١ (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٧).
- ٥) بوطالب، محمد، "العلوم الاجتماعية والاستشراق: صورة المجتمع العربي الإسلامي"، في كتاب: صورة الآخر العربي ناظراً ومنظوراً إليه، تحرير الطاهر لبيب، ط ١ (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٧).
- ٦) حتى، ناصيف، القوى الخمس الكبرى والوطن العربي: دراسة مستقبلية، ط ١ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٧).
- ٧) حداد، مهنا، "اثر الصورة الذاتية في الموقف العربي من دولة إسرائيل"، في كتاب صورة الآخر: العربي ناظراً ومنظوراً إليه، تحرير الطاهر لبيب، ط ١ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٧).
- ٨) الحسن، يوسف، الحوار الإسلامي المسيحي: الفرص والتحديات، ط ١ (أبو ظبي: المجمع الثقافي، ١٩٩٧).

٩) حنفي، حسن، "جدل الأنا والآخر: دراسة في تخلص الإبريز للطهطاوي"، في كتاب: صورة الآخر: العربي ناظراً ومنظوراً إليه، تحرير الطاهر لبيب، ط ١ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٧).

١٠) حيمر، عبد السلام، "صورة الآخر من خلال تقارير الرحلات السفارية المغربية إلى أوروبا، في كتاب: صورة الآخر: العربي ناظراً ومنظوراً إليه، تحرير الطاهر لبيب، ط ١ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٧).

١١) خضر، بشارة، أوروبا والوطن العربي: القرابة والجوار، ترجمة جوزيف عبد الله، ط ١ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٣).

١٢) خضر، بشارة، "الحوار الاقتصادي العربي - الأوروبي"، في كتاب: العلاقات العربية الأوروبية: حاضرها ومستقبلها، ط ١ (باريس: مركز الدراسات العربي - الأوروبي، ١٩٩٧).

١٣) ساري، حلمي، "صورة العرب في الصحافة البريطانية: دراسة اجتماعية للثبات والتغير في مجمل الصورة، ترجمة عطا عبد الوهاب، ط ١ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٨).

١٤) ساري، سالم، "الذات العربية المتضخمة: إدراك الذات المركز والآخر الجواني"، في كتاب: صورة الآخر: العربي ناظراً ومنظوراً إليه، تحرير الطاهر لبيب، ط ١ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٧).

١٥) سليمان، ميخائيل، "تونس والعالم: موقف الشباب التونسي من البلدان الأخرى"، في كتاب: صورة الآخر: العربي ناظراً ومنظوراً إليه، تحرير الطاهر لبيب، ط ١ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٧).

١٦) سليمان، ميخائيل، "صورة العرب في عقول الأميركيين، ترجمة عطا عبد الوهاب، ط ١ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٧).

١٧) سليمان، ميخائيل، "فلسطين والفلسطينيين في العقل الأمريكي"، المستقبل العربي، العدد ٢٠٤ (كانون ثاني ١٩٩٦).

- ١٨) الشلبي، جمال، العرب وأوروبا: رؤية سياسية معاصرة، ط ١ (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٠).
- ١٩) غالي، سامح، "خطوة جديدة في مسيرة الشراكة الأوروبية المتوسطية: مؤتمر فاليتا، السياسة الدولية، العدد ١٢٩، (تموز ١٩٩٧).
- ٢٠) عزيزة، نادر، "الحوار الثقافي والحضاري العربي - الأوروبي"، في كتاب: العلاقات العربية الأوروبية: حاضرها ومستقبلها، ط ١ (باريس: مركز الدراسات العربي - الأوروبي، ١٩٩٧).
- ٢١) القزاز، ايداد، "صورة الوطن العربي في المدارس الثانوية الأمريكية"، المستقبل العربي، العدد ٢٦، (نيسان ١٩٨١).
- ٢٢) لبيب، الطاهر، "الآخر في الثقافة العربية"، في كتاب: صورة الآخر: العربي ناظراً ومنظوراً إليه، تحرير الطاهر لبيب، ط ١ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٧).
- ٢٣) لبيض، سالم، "من الاستشراق إلى نهاية التاريخ: الفكر الغربي والآخر"، المستقبل العربي، العدد ٢١١، (أيلول ١٩٩٦).
- ٢٤) ميعاري، محمود، "الذات والآخر في نظر الشباب الفلسطيني"، مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد ٢٥، العدد ١، ١٩٩٧.
- ٢٥) نصر، مادلين، "صورة العرب والإسلام في الكتب المدرسية الفرنسية"، في كتاب: صورة الآخر: العربي ناظراً ومنظوراً إليه، تحرير الطاهر لبيب، ط ١ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٧).
- ٢٦) ياسين، السيد، الشخصية العربية: بين صورة الذات ومفهوم الآخر، ط ١ (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٨١).

انتهى بحمد الله